هذا كتاب عمدة المحققين * وبرهان اليقين * من قامت
له الحجة فى عالم الارواح * وعم به النفع فى عالم
الاشباح * تاج الشريعة وصدرها وشمس
الائمة وفخرها سيدى محمد بن محمد الغزالى
لا زالت خدامته شرفى ومنوالى * سماه
اسما يوازى معناه * ويناسب
فضله ومبناه * وهو التبر
المسبوك * فى نصيحة
الملوك

هذا الكتاب مما من الله به على عبده [illegible] عبد الله على [illegible]

ولقد أحسن نادرة الزمان * المشار اليه بين الافاضل بالبنان
المقتفى آثار سيد النبيين والمرسلين * شيخنا الشيخ أحمد المرصفى
شرف الدين * حيث قال ارتجالا فى ذى المقام الرفيع * من له
شغف بنشر الشريعة الشرف على الجميع بحر السنة الراوى * شيخنا
الشيخ حسن العدوى الحمزاوى *

لله در ملاذنا وهمامنا * حسن المقاصد جهبذ الاحبار
يسعى بجهد فى خدامة سادة * نفعوا الورى بصحيح الاخبار
كم من فنون ما علمت وجودها * الا بحضرة منبع الاسرار
فجزاه رب الفضل فضل ثوابه * حتى يزف لمنزل الابرار
آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على انعامه وافضاله * والصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين * أما بعد فانه سألني بعض الكبراء أن انقل هذا الكتاب وهو كتاب نصيحة الملوك من اللغة الفارسية * الى الالفاظ العربية * فامتثلت ذلك ونقلته على ترتيبه وصورته * ولم اغير شيأ من وضع الكتاب وصيغته * واجتهدت في تسهيل عباراته * وايضاح اشاراته * قصد الاستعمال الكلام * ليكون اقرب الى الافهام * بقدر ما بلغته بلاغته * وافصحت عنه فصاحته * وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب * (قال) الشيخ الامام شرف الائمة أبو حامد محمد بن محمد [illegible] [illegible] ه الله * وهو مخاطب السلطان محمد بن ملك شاه * ر [illegible]) يا سلطان العالم * وملك المشرق والمغرب * [illegible] ظاهرة *

وآلاء متكاثرة* يجب عليك شكرها* ويتعين عليك اذاعتها
ونشرها* ومن لم يشكر نعم الله جل ثناؤه* وتقدست أسماؤه*
فقد عرض تلك النعم للزوال* وخجل من تقصيره يوم القيامة* وكل
نعمة تفنى عند الموت* فليس لها عند العاقل قدر* ولا عند
اللبيب خطر* لان العمر وان تطاولت مدته* لا ينفع طوله اذا
انقضى أمده* وفنى عدده فان نوحا عليه السلام عاش ألف
سنة ونيفا ومنذ موته الى الآن ستة آلاف سنة* وكأنه
لم يكن فالقدر للنعمة التي تبقى على الدوام* وتدوم مدى الليالى
والايام* وهى نعمة الايمان الذى هو بذر السعادة المؤبدة* والنعمة
المخلدة* والله جلت قدرته قد خولك هذه النعمة* وزرع بذر
الايمان فى صفاء صدرك* واودعه قلبك وسرك* ومكنك من
تربية ذلك البذر* وامرك أن تسقيه بالطاعة حتى يصير شجرة*
أصلها فى قعر السفلى* وفرعها فى السموات العلى* كما قال عز من
قائل ألم تركيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت
وفرعها فى السماء* واذا لم يثبت أصل شجرة الايمان ولم يكمل
فرعها يخاف عليها من هبوب رياح الموت* وعواصف الفوت*
فتنقلع عند النفس الاخير* فيبقى العبد والعياذ بالله بغير ايمان*
ويلقى ربه بغير احسان* واعلم أيها الملك ان لهذه الشجرة عشرة
اصول وعشرة فروع* فأصلها الاعتقاد بالجنان* وفرعها العمل
بالاركان* وهذا الداعى لما صادف القبول من المجلس العالى*
شرح هذه العشرة الاصول* وهذه العشرة فروع* ليشتغل
سلطان العالم بتربية هذه الشجرة* وانما يصح له ذلك اذا أفرد يوما
من أيام الاسبوع لعبادة ربه تعالى والاشتغال فيه
بعمل الآ[illegible] [illegible]عة فانه عيد المؤمنين* وفيه ساعة
شريفة [illegible] [illegible] فيها حاجته بنية حاضرة* وسريرة

ظاهرة* فانه جل ذكره يقضي حاجته* ولا يخيب دعوته* وماذا
عليك اذا أفردت من سبعة أيام يوما واحدا * بخدمة ربك فانه
في المثل لو كان لك عبد وأمرته أن يشتغل في كل اسبوع يوما
واحدا بخدمتك لتهب له تقصيره في الايام الستة فخالفك ذلك
العبد كيف كان حاله عندك مع أن العبد لست بخالقه وانما
هو عبدك مجازا* وأنت أيها الملك مخلوق للخالق تعالى وعبده
على الحقيقة فلم ترض من نفسك مالا ترضاه من عبدك فانو
الصيام من ليلة الجمعة* فان أضفت اليه الخميس كان أولى وقم
يوم الجمعة صبحا واغتسل والبس من الثياب ماله ثلاث صفات *
أحدها أن يكون حلالا* وأن يكون مما تجوز فيه الصلاة* وأن لا
يكون ابريسما * في الصيف الدبيقي والقصب والنوري*
والكتان* وفي الشتاء الخز والقطن والصوف الرومي* وكل ثوب
على غير هذه الصفة فان الله تعالى لا يرضاه* وصل الصبح في
جماعة * ولا تتكلم الى أن تطلع الشمس* ولا تحول وجهك عن
القبلة* وخذ السبحة في يدك قل لا اله الا الله محمد رسول الله ألف
مرة* فاذا طلعت الشمس فأمر قارئا يقرء عليك هذا الكتاب *
وكذلك فليقرء عليك في كل جمعة ليحصل في محفوظك *فاذا فرغ
القارئ من الكتاب* فصل أربع ركعات* وسبح الى وقت الضحى
فان ثواب هذه الصلاة عظيم *وخاصة في يوم الجمعة* وبعد ذلك
ان كنت على تخت السلام او كنت في الخلوة فقل اللهم صل على
محمد وعلى آل محمد متواترا* ومهما قدرت أن تتصدق في هذا
اليوم فتصدق واجعل هذا اليوم الواحد من أيام الاسبوع لله
تعالى ليجعل الله باقي الاسبوع لك ويكف عنك*

(ابتداء قاعدة الاعتقاد الذى هو أن)

اعلم ايها السلطان انك مخلوق ولك خالق وهو خالق العالم وجميع

ما فى العالم * وأنه واحد لا شريك له * فرد لا مثل له * كان فى الازل وليس لكونه زوال * ويكون مع الابد وليس لبقائه فناء * وجوده فى الازل والابد واجب وما للعدم اليه سبيل وهو موجود بذاته وكل أحد اليه محتاج * وليس له الى أحد احتياج * وجوده به ووجود كل شئ به *

(الاصل الثانى فى تنزيه الخالق تعالى)

اعلم أن البارى تعالى ليس له صورة ولا قالب * وانه تعالى لا ينزل ولا يحل فى قالب * وأنه تعالى منزه عن الكيف والكم * وعن لماذا ولم * وأنه لا يشبهه شئ * وكلما يخطر فى الوهم والخيال والفكر من التكييف والتمثيل فانه منزه عن ذلك لان تلك من صفات المخلوقين * وهو خالقها فلا يوصف بها وانه تعالى جده ليس فى مكان ولا على مكان فان المكان لا يحصره * وكل ما فى العالم فانه تحت عرشه وعرشه تحت قدرته وتسخيره * فانه قبل خلق العرش كان منزها عن المكان وليس العرش بحامل له بل العرش وحملته يحملهم لطفه وقدرته * وانه تقدس عن الحاجة الى المكان قبل خلقه العرش وبعد خلقه وأنه متصف بالصفة التى كان عليها فى الازل * ولا سبيل الى التغير والانقلاب الى صفاته وهو سبحانه متقدس عن صفات المخلوقين * منزه وهو فى الآخرة مرئى كما نعلمه فى الدنيا بلا مثل ولا شبه كذلك نراه فى الآخرة بلا مثل ولا شبه * لان تلك الرؤية لا تشابه رؤية الدنيا * ليس كمثله شئ *

(الاصل الثالث فى القدرة)

وأنه تعالى على كل شئ قدير * وان قدرته وملكه فى نهاية الكمال * [illegible] لعجز والنقصان * بل ما شاء فعل وما يشاء يفعل * [illegible] سبع والكرسى والعرش * فى قبضته وقدرته

وتحت قهره وتسخيره ومشيئته هو مالك الملك لا ملك الا ملكه

(الاصل الرابع في العلم)

وانه تعالى عالم بكل معلوم * وعلمه محيط بكل شئ وليس شئ من العلى الى الثرى * الا وقد أحاط به علمه * لان الاشياء بعلمه ظهرت وبقدرته انتشرت * وانه تعالى يعلم عدد رمال القفار * وقطرات الامطار * وورق الاشجار * وغوامض الافكار وان ذرات الرياح والهوى * في علمه ظاهرة مثل عدد نجوم السماء

(الاصل الخامس في الارادة)

فان جميع ما في العالم بارادته ومشيئته * وليس من شئ قليل أو كثير صغير او كبير * خير أو شر * نفع أو ضر * زيادة أو نقصان * راحة أو نصب * صحة أو وصب * الا بحكمته وتدبيره * ومشيئته * وتقديره * ولو اجتمع الجن والانس والملائكة والشياطين على أن يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها أو ينقصوا منها أو يزيدوا فيها بغير ارادته وحوله وقوته لعجزوا عن ذلك ولم يقدروا وما شاء كان * وما لا يشاء لا يكون ولا يرد مشيئته شئ ومهما كان ويكون وهو كائن فانه بتدبيره وتسخيره

(الاصل السادس في أنه سميع بصير)

وكما انه عالم بجميع المعلومات فانه سميع لكل مسموع بصير بكل مرئي وان القريب والبعيد * في سمعه متماثل * والضياء والظلام في بصره متماثل شئ واحد وانه يرى دبيب النملة في الليلة المظلمة * ولا يخفى عنه ولا يعزب عن سمعه صوت الدودة تحت اطباق الارض وان سمعه ليس بأذن وبصره ليس بعين وكما ان علمه لا يصدر عن فكرة وفعله بغير آلة وعدة يقول للشئ كن فيكون

(الاصل السابع في الكلام)

وان أمره تعالى على جميع الخلق نافذ واجب * ومهما أخبر به من وعد او وعيد فانه حق وأمره كلامه وكما أنه عالم قدير سميع بصير فهو متكلم وكلامه بغير حلق ولا لسان * ولا فم ولا اسنان والتوراة والقرآن والانجيل والزبور والكتب المنزلة من السماء على الانبياء عليهم السلام جميعها كلامه وكلامه صفته * وكل صفاته قديمة لم تزل وكما أن الكلام عند الآدمي حرف وصوت فكلام الله منزه عن الحرف والصوت

(الاصل الثامن في افعاله تعالى)

وان جميع ما في العالم مخلوق له * وليس معه شريك ولا خالق * بل هو الخالق الواحد ومهما كان من تعب ومرض وفقر وعجز وجهل فعدل منه ولا يتمكن الظلم من أفعاله * لان الظالم هو الذي يتصرف في ملك غيره والخالق تعالى لا يتصرف الا في ملكه * وليس معه مالك سواه * وكل ما كان ويكون وهو كائن فهو ملك وهو المالك بلا شبيه ولا شريك وليس لاحد عليه اعتراض بلم وكيف * لكن له الحكم والامر في كل أفعاله * وما لاحد غير التسليم والنظر الى صنعه والرضاء بقضائه تعالى

(الاصل التاسع في ذكر الآخرة)

وانه تعالى خلق العالم من نوعين * من شخص وروح * وجعل الجسد منزلا للروح * لتأخذ زاد الآخرتها المدة من هذا العالم * وجعل لكل روح مدة مقدرة تكون في الجسد * وآخر تلك المدة هو اجل تلك الروح من غير زيادة ولا نقصان * فاذا جاء الاجل فرق بين الروح والجسد * واذا وضع الميت في قبره اعيدت روحه الى جسده ليجيب سؤال منكر ونكير وهما شخصان هائلان ......من ربك ومن نبيك فان استعجم ولم يجب

عذباه وملئ قبره حيات وعقارب * ويوم القيامة يوم الحساب والمكافأة والمناقشة والمجازاة ترد الروح الى الجسد * وتنشر الصحف وتعرض الاعمال على الخلائق * فينظر كل انسان فى كتابه فيرى أعماله ويشاهد افعاله * و يعلم مقدار طاعته ومعصيته فتوزن أعماله فى ميزان الاعمال ثم يؤمر بالجواز على الصراط والصراط أدق من الشعرة واحد من الشفرة * فكل من كان فى هذا العالم على الطريقه المستقيمه الصالحة * وسلوك المحجة الواضحة عبر على الصراط وجازه فى راحة واستراحة ومن لم يكن على السريرة المحمودة والاعمال الرشيدة * وعصى مولاه واتبع هواه فانه لا يجد الطريق على الصراط ولا يهتدى الى الجواز ويقع فى جهنم * والكل يوقفون على الصراط * و يسألون عن افعالهم * فيسأل الصادقون عن صدقهم * ويمتحن المنافقون والمراءون ويفضحون فمن الناس قوم يدخلون الجنة بغير حساب * و جماعة يحاسبون بالرفق والمسامحة * وجماعة يحاسبون بالمناقشة والصعوبة والمحاققة * ثم يسحب الكفار الى جهنم بحيث لا يجدون خلاصا * ويدخل أهل الاسلام المطيعون الى الجنة * و يؤمر بالعصاة الى النار * فكل من نالته شفاعة الانبياء والعلماء والاكابر من الصلحاء عفى عنه * وكل من ليس له شفيع عوقب بمقدار اثمه * وعذب بمقدار جرمه * ثم دخل الجنة ان كان قد سلم ايمانه الى الآخرة

*(الاصل العاشر فى ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم)

ولما قدر الله تعالى هذا التقدير * وجعل افعال الانسان وأحواله واكتسابه وأعماله * منها ما هو سبب لشقاوته * ومنها ما هو سبب لسعادته * والانسان لا يقدر أن يعرف ذلك من تلقاء نفسه خلق الله تعالى بحكمة فضله ورحمته * وطوله ومنته * ملأ

الى أشخاص قد حكم لهم بالسعادة فى الازل وهم الانبياء
عليهم السلام فأرسلهم الى الخلق ليوضحوا لهم طرق السعادة
والشقاوة ولئلا يكون للناس على الله حجة وأرسل رسولنا محمدا
صلى الله عليه وسلم اخيرا وجعله بشيرا ونذيرا وافضل نبوته الى
درجة الكمال فلم يبق للزيادة فيها مكان ولا مجال ولهذا جعله خاتم
الانبياء فلا نبى بعده وأمر الخلائق من الجنّ والانس بطاعته
وبمتابعته وجعله سيد الانبياء وجعل أصحابه خير أصحاب الانبياء
صلوات الله عليهم أجمعين

(ذكر فروع شجرة الايمان)

اعلم ايها السلطان انه كل ما كان فى قلب الانسان من معرفة
واعتقاد فذلك أصل الايمان وما كان جاريا على اعضائه السبعة
من الطاعة والعدل فذلك فرع الايمان فاذا كان الفرع ذابلا
ذاويا دل على ضعف الاصل فانه لا يثبت عند الموت وعمل البدن
عنوان ايمان القلب والاعمال التى هى فروع الايمان هى تجنب
المحارم وأداء الفرائض وهى قسمان أحدهما بينك وبين الله تعالى
مثل الصوم والصلاة والحج والزكاة واجتناب شرب الشراب
والعفة عن الحرام والاخرى ما بينك وبين الخلق وهى العدل فى
الرعية والكف عن الظلم والاصل فى ذلك ان تعمل فيما بينك وبين
الخالق تعالى من طاعة امره والازدجار بزجره ما يختار ان يعتمده
عبدك فى حقك وان تعمل فيما بينك وبين الناس ما تريد ان يعمل
معك من سواك اذا كان غيرك السلطان وكنت من رعيته واعلم
انه ما كان بينك وبين الخالق تعالى فان عفوه قريب وانه غفور
رحيم اما ما يتعلق بمظالم الخلق فانه لا يتجاوز به عنك على كل حال
يوم القيامة [illegible] عظيم ولا يسلم من هذا الخطر أحد من الملوك
الا ما [illegible] عيته لتعلم كيف يطلب العدل

والانصاف منك فى يوم القيامة واصول العدل والانصاف عشرة

(الاصل الاول من ذلك)

وهو أن تعرف أولا قدر الولاية وتعلم خطرها فان الولاية نعمة من قام بحقها نال من السعادة مالا نهاية له ولا سعادة بعده ومن قصر عن النهوض بحقها حصل فى شقاوة ولا شقاوة بعدها الا الكفر بالله تعالى والدليل على عظم قدرها و جلالة خطرها ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال عدل السلطان يوما واحدا أفضل من عبادة سبعين سنة وقال عليه السلام اذا كان يوم القيامة لا يبقى ظل ولا ملجأ الا ظل الله ولا يستظل بظله الا سبعة اناس سلطان عادل عدل فى رعيته وشاب نشأ فى عبادة ربه و رجل يكون فى السوق وقلبه فى المسجد ورجلان تحابا فى الله و رجل ذكر الله تعالى فى خلوته فأجرى دمعه من مقلته و رجل دعته امرأة ذات جمال ومال الى نفسها فقال انى اخاف الله و رجل تصدق سرا بيمينه ولم تشعر بها شماله وقال عليه السلام أحب الناس الى الله تعالى وأقربهم منه السلطان العادل وأبغضهم الى الله تعالى وأبعدهم عنه السلطان الجاير وقال عليه الصلاة والسلام والذى نفس محمد بيده انه ليرفع للسلطان العادل الى السماء من العمل مثل عمل جملة الرعية وكل صلاة يصلها تعدل سبعين الف صلاة فاذا كان كذلك فلا نعمة أجل من أن يعطى العبد درجة السلطنة ويجعل ساعة من عمره بجميع عمر غيره ومن لم يعرف بقدر هذه النعمة واشتغل بظلمه وهواه يخاف عليه أن يجعله الله من جملة أعدائه ومما يدل على عظم خطر الولاية ماروى ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بعض الايام فلازم حلقة باب الكعبة وكان فى البيت نفر من قريش فقال صلى الله عليه وسلم ياسادات قريش

واتباعكم بثلاثة أشياء اذا سألوكم الرحمة فارحموهم واذا حكموكم
فاعدلوا فيهم واعملوا بما تقولون فمن لم يعمل بهذا فعليه لعنة الله
والملائكة ولا يقبل الله منه فرضا ولا نفلا وقال صلى الله عليه
وسلم من حكم بين خصمين فظلم فلعنة الله على الظالمين وقال صلى
الله عليه وسلم ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة سلطان كاذب
وشيخ زان وفقير متكبر يعني انه يتكبر للطمع وقال صلى الله عليه
وسلم للصحابة رضي الله عنهم سيأتي عليكم يوم تفتحون جانب
المشرق والمغرب ويصير بأيديكم فكل عمال تلك الاماكن في النار
الا من اتقى الله تعالى وسلك سبيل التقوى وأدى الامانة وقال
صلى الله عليه وسلم ما من عبد ولاه الله أمر رعيته فغشهم ولم
ينصح لهم ولم يشفق عليهم الا حرّم الله عليه الجنة وقال صلى الله
عليه وسلم من ولي امور المسلمين ولم يحفظهم كحفظ أهل بيته فقد
تبوء مقعده من النار وقال صلى الله عليه وسلم رجلان من
امتي يحرمان شفاعتي ملك ظالم ومبتدع غال في الدين يتعدّى
الحدود وقال صلى الله عليه وسلم أشدّ الناس عذابا يوم القيامة
السلطان الظالم وقال صلى الله عليه وسلم خمسة قد غضب الله
عليهم وان شاء امضى غضبه ومقرهم النار أمير قوم يأخذ منهم
ولا ينصفهم من نفسه ولا يرفع الظلم عنهم ورئيس قوم يطيعونه
وهو لا يساوي بين القوي والضعيف ويحكم بالميل والمحاباة ورجل
لا يأمر أهله واولاده بطاعة الله ولا يعلمهم امور الدين ولا يبالي من
اين اطعمهم ورجل استأجر أجيرا فتم عمله ومنعه اجرته ورجل ظلم
زوجته في صداقها وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه شيع
يوما جنازة فتقدّم رجل وصلى بالجنازة فلما دفن الميت وضع ذلك
الرجل [illegible] قبره وقال اللهم ان عذبته فبحقك لانه قد عصاك
وان [illegible] تك وطوبى لك أيها الميت ان لم تكن

اميرا اوعريفا اوكاتبا اوعوانيا اوجابيا فلما تكلم هذه الكلمات
غاب شخصه عن عيون الناس فأمر عمر رضي الله عنه بطلبه
فطلب فلم يوجد فقال عمر رضي الله عنه هذا الخضر عليه السلام
وقال النبي صلى الله عليه وسلم ويل للامراء وويل للعرفاء و ويل
للعوانية فأنهم اقوام يعلقون يوم القيامة من السماء بذوائبهم
يودون لولم يعملوا عملا قط وقال صلى الله عليه وسلم مامن رجل
ولي امر عشرة من الناس الا جيء به يوم القيامة ويداه مغلولتان
تغل الى عنقه فان كان عمله صالحا فك الغل عنه وان كان عمله
سيئا غل آخر وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ويل لقاضي
الارض من قاضي السماء حين يلقاه الا من عدل وقضى بالحق ولم
يحكم بالهوى ولم يمل مع اقاربه ولم يبدل حكما بخوف اوطمع لكن
يجعل كتاب الله مرآته ونصب عينه ويحكم بما فيه وقال صلى الله
عليه وسلم يؤتى بالولاة يوم القيامة فيقول الله تعالى انتم كنتم رعاة
خليقتي وخزنة ملكي في ارضي ثم يقول لاحدهم لم ضربت
عبادي فوق الحد الذي أمرت به فيقول يارب لانهم عصوك
وخالفوك فيقول لاينبغي أن يسبق غضبك غضبي ثم يقول لآخر
لم عاقبت عبادي أقل من الحد الذي أمرت به فيقول يارب رحمتهم
فيقول الله كيف تكون أرحم مني خذوا الذي زاد والذي نقص
فاحشوا بهما زوايا جهنم وقال حذيفة اليماني رضي الله عنه
انا لا اثني على أحد من الولاة سواء كان صالحا أو غير صالح لاني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالولاة
العادلين والظالمين يوم القيامة فيوقفون على الصراط فيوحي الله
الى الصراط ان ينفضهم في النار مثل من جار في الحكم وأخذ رشوة
على القضاء وأعار سمعه لاحد الخصمين دون الآخر يسقطون
من الصراط فيهوون في النار سبعين سنة۔

قدجاء فی الخبر ان داود علیه السلام کان یخرج فی اللیل متنکرا
بحیث لا یعرفه أحد وکان یسأل کل من یلقاه عن سیرة داود سرًّا
حتی فجاءه جبریل علیه السلام یوما فی صورة فقال له ما تقول
فی داود فقال نعم الرجل داود الا انه یأکل من بیت المال ولا یأکل
من کدّه وتعب بدنه فعاد داود الی محرابه باکیا حزینا وقال الٰهی
علمنی صنعةً اکل بها من تعبی وکدّ بدنی فعلمه الله تعالی عمل
الزرد کان عمر بن الخطاب رضی الله عنه کل لیلة یطوف مع
العسس حتی یری خللا یتدارکه وکان یقول لو ترکت عنز
جربا الی جانب ساقیة لم تدهن لخشیت ان أسئل عنها یوم
القیامة فانظر ایها السلطان الی عمر رضی الله عنه مع احتیاطه
وعدله وما وصل احد من الآدمیین الی تقواه وصلابته کیف
یتفکر ویتخوف من اهوال یوم القیامة وانت قد جلست لاهیا
عن احوال رعیتک غافلا عن اهل ولایتک قال عبد الله بن عمر
وجماعة من اهل بیته اننا کنا ندعو الله تعالی لیرینا عمر فی المنام
فرایته فی المنام بعد اثنی عشرة سنة کأنه قد اغتسل وهو
متلفع بازار فقلت یا امیر المؤمنین کیف وجدت ربک بای
حسنا تک جازاک فقال یا عبد الله کم لی منذ فارقتکم فقلت اثنا
عشر سنة فقال منذ فارقتکم کنت فی الحساب وخفت ان أهلک
الا ان الله غفور رحیم جواد کریم فهذا حال عمر رضی الله عنه
ولم یکن له فی دنیاه من أسباب الولایة سوی درة

(حکایة)

ارسل قیصر رسولا الی عمر بن الخطاب رضی الله عنه لینظر أحواله
ویشاهد أفعاله فلما دخل المدینة سأل أهلها وقال أین ملککم فقالوا
ما لنا ملک بل لنا أمیر قد خرج الی ظاهر المدینة فخرج الرسول
فی طلبه فرآه نائما فی الشمس علی الارض فوق الرمل الحار وقد

وضع درته كالوسادة والعرق يسقط من جبينه الى ان قد بل الارض
فلما رآه على هذه الحالة وقع الخشوع فى قلبه وقال رجل يكون جميع
الملوك لا يقر لهم قرار من هيبته وتكون هذه حالته ولكنك يا عمر
عدلت فآمنت فنمت وملكنا يجور فلا جرم انه لا يزال ساهرا خائفا
أشهد ان دينك الدين الحق ولولا انى أتيت رسولا لاسلمت ولكنى
اعود بعد هذا واسلم أيها السلطان خطر الولاية عظيم وخطبها
جسيم والشرح فى ذلك طويل ولا يسلم الوالى الا بمعاونة علماء الدين
ويحرص على استماع نصيحتهم وان يحذر من رؤية علماء السوء
يحرصون على الدنيا فانهم يثنون عليك ويعرفونك ويطلبون
رضاك طمعا فيما بيدك من خبيث الحطام ونسل الحرام ليحصلوا
منه شيأ بالمكر والحيل والعالم الصالح هو الذى لا يطمع فيما عندك
من المال وينصفك فى الوعظ والمقال كما يقال ان شقيقا البلخى دخل
على هارون الرشيد فقال انت شقيق الزاهد فقال له انا شقيق
ولست بزاهد فقال له اوصنى فقال له ان الله تعالى قد اجلسك
مكان الصديق وانه يطلب منك مثل صدقه واعطاك موضع
عمر بن الخطاب الفاروق وهو يطلب منك الفرق بين الحق
والباطل مثله واقعدك مكان ذى النورين وانه يطلب منك حياته
وكرمه واقعدك موضع على بن ابى طالب وانه يطلب منك العلم
والعدل كما يطلب منه فقال له زدنى من وصيتك فقال نعم اعلم ان
لله تعالى دارا تعرف بجهنم وانه جعلك بواب تلك الدار واعطاك
ثلاثة اشياء بيت المال والسوط والسيف وامرك ان تمنع الخلق من
دخول النار بهذه الثلاثة فمن جاءك محتاجا فلا تمنعه من بيت المال
ومن خالفك فيما أمر به تعالى فاذبه بهذا السوط ومن قتل نفسا بغير
حق فاقتله بالسيف باذن ولى المقتول فان لم تفعل ما أمرتك وأنت
تكون الزعيم لاهل النار والمتقدم لاهل دار البوار فقال زدنى

من الوصية فقال انما مثلك كمثل معين الماء وسائر العمال في العالم
كمثل السواقي فاذا كان المعين صافيا لا يضر كدر السواقي واذا
كان المعين كدرا لا ينفع صفاء السواقي خرج هارون الرشيد
والعباس ليلا الى زيارة الفضيل بن عياض فلما وصلا الى بابه
وجداه يتلو هذه الآية أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن
نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء
ما يحكمون معنى الآية أيظنون ان الذين يكسبون الخطايا
ويعملون الاعمال المذمومة ان نساوي بينهم في الآخرة وبين
الذين يعملون الخيرات وهم مؤمنون ١٢ اولما فقال هارون ان كنا
جئنا لنطلب الموعظة فكفى بهذا موعظة ثم أمر العباس أن يطرق
عليه الباب فطرق بابه وقال افتح الباب لامير المؤمنين فقال
الفضيل ما يصنع عندي أمير المؤمنين فقيل له أطع أمير المؤمنين
وافتح الباب وكان ليلا والمصباح تقد فطفاه وفتح الباب فدخل
الرشيد وجعل يطوف بيده ليصافح الفضيل فلما وقعت يده عليه
قال الويل لهذه اليد الناعمة ان لم تنج من العذاب ثم قال له يا امير
المؤمنين استعد لجواب الله تعالى يوم القيامة فانه يوقفك مع كل
مسلم على حدة ويطلب منك انصافك اياه فبكى هارون بكاء
شديدا فقال له العباس مهلا يا فضيل فقد قتلت أمير المؤمنين
فقال له الفضيل يا هامان انت وقومك اهلكتموه وتقول لي
مهلا فقد قتلته فقال الرشيد للعباس ما جعلك هامان الا وقد
جعلني فرعون ثم وضع الرشيد بين يدي الفضيل ألف دينار وقال
هذه من وجه حلال من صداق امي ومهرها فقال له الفضيل
أنا آمرك أن ترفع يدك عما فيه وتعود الى خالقك وانت تلقيه الي
ولم يقبلها وخرج من عنده سأل عمر بن عبد العزيز محمد بن كعب
القرظي فقال صف لي العدل فقال كل مسلم أصغر منك فكن له أبا

ومن كان اكبر منك سنا فكن له ولدا ومن كان مثلك فكن له أخا وعاقب كل مجرم على قدر جرمه وإياك أن تضرب مسلما سوطا واحدا على حقد منك عليه فانه يصيرك الى النار حضر بعض الزهاد بين يدى خليفة الوقت فقال له عظنى فقال يا أمير المؤمنين انى سافرت الى الصين وكان ملك الصين قد اصابه الصمم وذهب سمعه فرأيته يبكى و يقول ما أبكى لزوال سمعى وانما ابكى لاجل مظلوم يقف ببابى ويستغيث ولا اسمع استغاثته ولكن الشكر لله اذ بصرى سالم وامر مناديا ينادى كل من كانت له ظلامة فليلبس عليه ثوبا أحمر وكان يركب الفيل كل يوم فمن رأى عليه ثوبا احمر دعاه واستمع شكواه وانصفه من خصمه فانظر يا أمير المؤمنين الى شفقة ذلك الكافر الى عباد الله تعالى وانت مؤمن ومن اهل بيت الرسول فانظر كيف تكون شفقتك حضر ابو قلابة مجلس عمر بن عبد العزيز فقال له عظنى فقال من عهد آدم الى يومنا هذا لم يبق خليفة سواك فقال زدنى فقال أنت أول خليفة يموت فقال زدنى فقال ان كان الله معك فمن تخاف وان لم يكن معك فالى من تلتجى وان كان الله عليك فمن ترجوا فقال حسبى الله بما قلت كان سليمان بن عبد الملك خليفة فتذكر يوما وقال قد تنعمتَ فى الدنيا طويلا فكيف يكون حالى فى الآخرة وأنفذ الى ابى حازم وكان عالم اهل زمانه وازهدهم وقال ابعث لى شيأ من قوتك الذى تفطر عليه فانفذ له قليلا من نخالة قد شواها وقال هذا فطورى فلما رأى سليمان ذلك بكا واثر فى قلبه الخشوع تأثيرا كثيرا فصام ثلاثة ايام وطوى لياليها وافطر الليلة الثالثة على تلك النخالة المشوية فيقال انه فى تلك الليلة تغشى اهله فكان منها عبد العزيز وجاء منه عمر بن عبد العزيز وكان واحد زمانه فى عدله * وانصافه وزهده واحسانه * وكان على

طريقة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل ان ذلك ببركة نيته
وصيامه واكله من ذلك الطعام سئل عمر بن عبد العزيز ما كان
بدء توبتك فقال كنت يوما اضرب غلاما لي فقال اذكر تلك الليلة
التي تكون صبيحتها القيامة فعمل ذلك الكلام في قلبي رآى
بعض الاكابر هارون الرشيد في عرفات وهو حاف حاسر قائم على
الرمضاء الحارة وقد رفع يديه وهو يقول الهي أنت أنت وأنا انا دأبي
كل يوم أن أعود الى عصيانك ودأبك أن تعود على بمغفرتك
ورحمتك فقال الكبراء انظروا الى تضرع جبار الارض بين يدي
جبار السماء سأل عمر بن عبد العزيز يوما لابي حازم الموعظة
فقال له ابو حازم اذا نمت فضع الموت تحت رأسك وكلما تختار ان
يأتيك الموت وانت مصر عليه فافعله والزمه وكلما لا تؤثر ان
يأتيك الموت وانت عليه فاجتنبه فربما كان الموت منك قريبا
فينبغي لصاحب الولاية أن يجعل هذه الحكاية نصب عينيه وان
يقبل الموعظة التي وعظ غيره وكل ما رآى عالما سأله ان يعظه
وينبغي للعالم ان يعظ الملوك بمثل هذه المواعظ ولا يغرهم
ولا يدخر عنهم كلمة الحق وكل من غرهم فهو مشارك لهم في ظلمهم

(الاصل الثالث)

أن لا تقنع بدفع يدك عن الظلم لكن تهذب غلمانك وأصحابك
وعمالك ونوابك ولا ترضى لهم بالظلم فانك تسأل عن ظلمهم كما
تسأل عن ظلم نفسك كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى عامله
ابي موسى الاشعري اما بعد فان أسعد الولاة من سعدت به رعيته
وان اشقى الولاة من شقيت به رعيته فاياك والتبسط فان عمالك
يقتدون بك وانما مثلك مثل دابة رأت مرعى مخضرا فأكلت منه
حتى سمنت فكان سمنها سبب هلاكها لانها بذلك السمن تذبح
وتوكل وفي التوراة مكتوب كل ظلم علمه السلطان من عماله فسكت

عنه كان ذلك الظلم منسوبا اليه وأخذ به وعوقب عليه وينبغى للوالى أن يعلم انه ليس أحد أشد غبنا ممن باع دينه وآخرته بدنيا غيره وجميع العمال والغلمان لاجل نصيبهم من الدنيا يغرون الوالى ويحسنون الظلم عنده فيلقونه فى النار ليصلوا الى اغراضهم واى عدو اشد عداوة ممن يسعى فى هلاكك لاجل درهم حرام يكتسبه ويحصله وفى الجملة ينبغى لمن اراد حفظ العدل على الرعية أن يرتب غلمانه وعماله للعدل ويحفظ أحوال اهله وأولاده ومنزله ولا يتم لهم ذلك الا بحفظ العدل أولا من باطنه وذلك أن لا يسلط شهوته وغضبه على عقله ودينه ولا يجعل عقله ودينه اسير شهوته وغضبه بل يجعل شهوته وغضبه أسير عقله ودينه وأكثر الخلق فى خدمة شهواتهم يستنبطون الحيل ليصلوا الى مرادهم من الشهوات ولا يعلمون ان العقل من جوهر والملائكة من جند البارى جلت قدرته وان الشهوة والغضب من جند الشيطان فمن يجعل جند الله وملائكته أسراء جند الشيطان كيف يعدل فى غيرهم واول ما تظهر شمس العدل فى الصدر ثم تنتشر نورها فى اهل البيت وخواص الملك فيشتد شعاعها الى الرعية ومن طلب الشعاع من غير الشمس فقد طلب وطمع فيما لا ينال واعلم ايها السلطان وتيقن ان ظهور العدل من كمال العقل وكمال العقل ان ترى الاشياء كما هى وتدرك حقائق باطنها ولا تغتر بظاهرها مثلا ان كنت تجور على الناس لاجل الدنيا فانظر أى شئ مقصودك من الدنيا فان كان مقصودك أكل الطعام الطيب فيجب أن تعلم ان هذه شهوة بهيمية فى صورة آدمى فان الشره الى الاكل من من طبائع البهائم وان كان مقصودك لبس الديباج فانك امرأة فى صورة رجل لان التزين والرعونة من أعمال النساء وان كان مقصودك ان تمضى غضبك على أعدائك فأنت اسد وسبع فى صورة

آدمى لان احضار الغضب من طبائع السباع وان كان مقصودك ان يخدمك الناس فأنت جاهل فى صورة عاقل لانك لو كنت عاقلا لعلمت ان الذين يخدمونك انما هم خدم وغلمان لبطونهم وفروجهم وشهواتهم وانهم قد جعلوك شركا الى تناول شهواتهم وان خدمتهم وسجودهم لانفسهم لا لك وعلامة ذلك انهم لو سمعوا ارجافا أن الولاية تؤخذ منك وتعطى لسواك لاعرضوا باجمعهم عنك وتقربوا الى ذلك الشخص وفى اى موضع علموا الدرهم فيه خدموا وسجدوا لذلك الموضع فعلى الحقيقة ليست هذه خدمة وانما هى ضحكة والعاقل من نظر ارواح الاشياء وحقائقها ولم يغتر بصورها وحقيقة هذه الاعمال ما ذكرناه فكل من لم يتيقن ذلك فليس بعاقل ومن لم يكن عاقلا لم يكن عادلا ومقره النار فلهذا السبب كان رأس مال كل السعادات العقل

(الاصل الرابع)

الوالى فى الاغلب فيكون متكبرا ومن التكبر تحدث غلبة السخط الداعية الى الانتقام والغضب وعول العقل وعدوه وآفته وقد ذكرنا علاج ذلك فى كتاب الغضب فى ربع المهلكات واذا كان الغضب غالبا فينبغى ان تميل الى جانب العفو وتعود الكرم والتجاوز فاذا صار ذلك عادة لك ماثلت الانبياء والاولياء ومتى جعلت امضاء الغضب عادة ماثلت السباع

(حكاية)

ابو جعفر المنصور أمر بقتل رجل والمبارك بن الفضيل حاضر فقال يا امير المؤمنين اسمع منى خبرا قبل ان تقتله روى الحسن البصرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم القيامة وجمع الخلائق فى صعيد واحد نادى مناد من كان له عند

الله يد فليقم فلا يقوم الا من عفى عن الناس فقال اطلقوه فانى قد عفوت عنه وأ كثر ما يكون غضب الولاة على من ذكرهم وطوّل لسانه عليهم فيسعون فى سفك دمه قال عيسى بن مريم عليه السلام ليحيى بن زكريا اذا ذكرك رجل بشئ وقال فيك صحيحا فاشكر الله تعالى وان قال كذبا فازدد فى الشكر فانه يزيد فى ديوان اعمالك وانت مستريح يعنى ان حسنا نه تكتب فى ديوانك وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقيل ان فلانا قوى شجاع فقال وكيف ذلك فقالوا انه يقوى بكل احد وما صارع احدا الا صرعه فقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة من كن فيه فقد كمل ايمانه من كظم غيظه وانصف فى حال رضاه وغضبه وعفى عند القدرة وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا تعتمد على خلق رجل حتى تجربه عند الغضب خرج زين العابدين رضى الله عنه يوما الى المسجد فسبه رجل فقصده غلمانه ليضربوه فنهاهم زين العابدين وقال كفوا ايديكم عنه ثم التفت الى ذلك الرجل وقال يا هذا ما لا تعرفه منى أكثر مما عرفته فان كان لك حاجة فاذكرها فخجل ذلك الرجل واستحيى فخلع زين العابدين عليه قميصه وأمر له بألف درهم فمضى الرجل وهو يقول أشهد أنك ابن رسول الله وروى انّ زين العابدين استدعى غلامه وناداه مرّتين فلم يجبه فقال له زين العابدين أما سمعت ندائى فقال بلى قال فلم لا اجبتنى فقال أمنت منك وعرفت طهارة اخلاقك فقال الحمد لله اذ قد أمن منى عبدى ويروى عن زين العابدين انه كان له غلام فعمد الى شاة فكسر رجلها فقال له لم فعلت هذا فقال كسرتها عمدا لاغضبك فقال له وأنا أغيظ الذى علمك وهو ابليس اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى ويروى عنه أيضا ان رجلا سبه فقال له زين العابدين يا هذا بينى وبين جهنم عقبة ان أنا جزتها فما ابالى بما قلت وان أنا لم أجزها فانا اكثر مما تقول وقال رسول

صلی الله علیه وسلم قد یبلغ الرجل بحلمه وعفوه درجة الصائم القائم ویکون رجل یکتب فی جریدة الجبارین ولا ولایة له ولا حکم الا علی أهل منزله وقال صلی الله علیه وسلم باب لا یدخله الا من اتبع غضبه بخلاف الشرع و یروی ان ابلیس اتی موسی علیه السلام فقال یاموسی اعلمك ثلاثة أشیاء وتطلب لی من ربی حاجة فقال موسی وما الثلاثة اشیاء فقال یاموسی احذر من الحدة والحرد فان الحرد ان یکون خفیف الرأس وانا العب به کما یلعب الصبیان بالکرة واحذر من النساء فانی مانصبت للخلق شرکا اعتمد علیه مثل النساء واحذر من البخل فانی افسد علی البخیل دینه ودنیاه وقال صلی الله علیه وسلم من کظم غیظه وهو قادر علی ان یکظمه ملأ الله قلبه بالامن والایمان ومن لم یلبس ثوبا طویلا خوفا من التکبر والخیلا وتواضع لله البسه الله تعالی حلل الکرامة وقال صلی الله علیه وسلم ویل لمن یغضب وینسی غضب الله تعالی وجاء رجل الی النبی صلی الله علیه وسلم فقال علمنی عملا ادخل به الجنة قال لا تغضب قال وماذا قال استغفر الله بعد صلاة العصر سبعین مرة لیکفر عنك ذنوب سبعین سنة فقال مالی ذنوب سبعین سنة فقال لامك فقال مالامی ذنوب سبعین سنة فقال لابیك فقال ولیس لابی ذنوب سبعین سنة فقال لاخوتك وروی ابن مسعود رضی الله عنه ان رسول الله صلی الله علیه وسلم کان یوما یقسم مالا فقال رجل ماهذه القسمة لله یعنی انها لیست بانصاف فحکیت ذلك لرسول الله صلی الله علیه وسلم فغضب واحمر وجهه ولم یقل شیأ سوی أن رحم الله اخی موسی فانه اوذی وصبر علی الاذی هذه الجملة والحکایات والاخبار تقنع فی نصیحة الولاة واذا کان اصل ایمانهم ثابتا اثر فیهم هذا القدر فان لم یؤثر ماذکرناه فیهم فسبب ذلك خلو قلوبهم من الایمان وانه مابقی

من ايمانهم الا الحديث باللسان عامل يتناول من اموال المسلمين في كل سنة كذى كذى الف دينار ودرهم لاجل غيره وتبقى في ذمته ويطالب بها في يوم القيامة ويحصل بمنفوعها سواه ويبوء بالعقوبة والعذاب يوم المرجع والمآب كيف يؤثر عنده هذه الاسباب وهذا نهاية الغفلة وقلة الدين وضعف النجدة

(الاصل الخامس)

في كل واقعة تصل اليك وتعرض عليك تقدر انك واحد من جملة الرعية وان الوالي سواك فكلما لا ترضاه لنفسك لا ترضى به لاحد من المسلمين وان رضيت لهم ما لا ترضاه لنفسك فقد خنت رعيتك وغششت اهل ولايتك ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قاعدا يوم بدر في ظل فهبط جبريل عليه السلام فقال اتقعد في الظل واصحابك في الشمس فعوتب بهذا القدر وقال صلى الله عليه وسلم من احب النجاة من النار والدخول الى الجنة فينبغي ان يكون اذا جاءه الموت وجد كلمة الشهادة وكلما ما لا يرضى به لنفسه لا يرضى به لاحد من المسلمين وقال صلى الله عليه وسلم من أصبح وفي قلبه همة سوى الله تعالى فليس من الله في شئ ومن لم يشفق على المسلمين فليس منهم

(الاصل السادس)

أن لا تحقر انتظار ارباب الحوائج ووقوفهم ببابك واحذر من هذا الخطر ومهما كان للمسلمين اليك حاجة فلا تشتغل بنوافل العبادة كان عمر بن عبد العزيز يقضي حوائج الناس فجلس الى الظهر فتعب ودخل بيته ليستريح من تعبه فقال له ولده ما الذي يؤمنك أن يأتيك الموت في هذه الساعة وعلى بابك منتظر لحاجة وانت مقصر في حقه فقال صدقت ونهض وعاد الى مجلسه

(الاصل السابع)

انك لا تعود نفسك الاشتغال بالشهوات من لبس الثياب الفاخرة واكل الاطعمة الطيبة لكن تستعمل القناعة في جميع الاشياء فلا عدل بلا قناعة سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعض الصالحين هل رأيت من أحوالي شيئا كرهته فقال سمعت أنك وضعت رغيفين على مائدتك وان لك قميصين أحدهما الليل والآخر للنهار فقال هل غير هذين شئ فقال لا والله فقال ان هذين أيضا لا يكونان

(الاصل الثامن)

انه مهما أمكنك أن تعمل الامور بالرفق فلا تعملها بالشدة والعنف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل وال لا يرفق برعيته لا يرفق به يوم القيامة ودعا صلى الله عليه وسلم فقال اللهم الطف بكل وال يلطف برعيته واعف عن كل وال يعف عن رعيته وقال صلى الله عليه وسلم الولاية والامر حسنتان لمن قام بحقهما وسيئتان لمن قصر فيهما كان هشام بن عبد الملك من خلفاء بني امية فسأل يوما أبا حازم وكان من العلماء ما التدبير في النجاة من امور الخلافة فقال ان تأخذ كل درهم تأخذه من وجه حلال وان تضعه في موضع حق فقال من يقدر على هذا فقال من يرغب في نعيم الجنان ويرهب من عذاب النيران

(الاصل التاسع)

أن تجتهد في ان يرضى عنك جميع رعيتك بموافقة الشرع قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه خير امتي الذين تحبونهم ويحبونكم وشر امتي الذين يبغضونكم وتبغضونهم ويلعنونكم وتلعنونهم وينبغي للوالي ان لا يغتر بكل من يصل اليه واثنى عليه وان يعتقد

أن جميع الرعية مثله راضون عنه فان الذي يثني عليه من خوفه منه يثني عليه بل ينبغي ان يرتب معتمدين يسئلون عن أحواله من الرعية ويتجسسون ليعلم عيبه من ألسنة الناس

(الاصل العاشر)

ان لا يطلب رضا احد من الناس بمخالفة الشرع فان من سخط بخلاف الشرع لا يضر سخطه كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول انني أصبح كل يوم ونصف الخلق علي ساخط ولا بدّ لكل من يؤخذ منه الحق ان يسخط ولا يمكن ان يرضي الخصمان وأكثر جهلا من ترك رضى الحق لاجل رضى الخلق كتب معاوية رضي الله عنه الى عائشة رضي الله عنها أن عظيني عظة مختصرة فكتبت اليه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من طلب رضاء الله في سخط الناس رضي الله عنه وارضى عنه الناس ومن طلب رضى الناس بسخط الله مثل أن لا يامرهم بالطاعة ولا يعلمهم امور دينهم ويطعمهم الحرام ويمنع الاجير اجرته والمرأة مهرها سخط الله عليه وأسخط عليه الناس

(بيان العينين اللتين هما مشرب شجرة الايمان)

واذا عرفت اصول شجرة الايمان وعلمت فروعها فاعلم ان هناك عينين للعلم تستمد الشجرة منهما الماء العين الاولى معرفة الدنيا وما هيتها ولم اوجد فيها الانسان * اعلم ايها السلطان ان الدنيا منزلة وليست بدار قرار والانسان فيها على صورة مسافر فأول منازله بطن امه وآخر منازله لحد قبره وانما وطنه وقراره ومكثه واستقراره بعدها فكل سنة تنقضي من عمر الانسان كالمرحلة وكل شهر ينقضي عنه كاستراحة المسافر في سفره وكل أسبوع فكقرية تلقاه في طريقه وكل يوم فكفرسخ نقطعه وكل نفس

فكخطوة

فكم خطوة يخطوها وبقدر كل نفس يتنفسه يقرب من الآخرة
وهذه الدنيا قنطرة فمن عبر القنطرة واشتغل بعمارتها فني فيها
زمانه ونسي المنزلة التي اليها مصيره وهي مكانه وكان جاهلا غير
عاقل وانما العاقل الذي لا يشتغل في دنياه الا باستعداد زاده
لمعاده ويكتفي منها بقدر حاجته ومهما جمعه منها فوق كفايته
كان سما قاتلا وتمنى ان تكون جميع خزائنه وسائر ذخائره فانية
رمادا وترابا لا فضة وذهبا ولو جمع مهما جمع فانما نصيبه ما يأكله
ويلبسه لا سواه وجميع ما يخلفه يكون حسرة وندامة ويصعب
عليه نزعه عند موته فحلالها حساب وحرامها عذاب ان كان قد
جمع المال من حلال طلب منه الحساب وان كان قد جمعه من
حرام اوجب عليه العقاب وكان اشد عليه من حسرة حلول
العذاب به في حفرته واخرته ومع هذا جميعه اذا كان ايمانه صحيحا
سالما بحضرة الديان فلا وجه ليأسه من الرحمة والغفران فان الله
غفور رحيم جواد كريم * واعلم ايها السلطان ان راحة الدنيا ايام قلائل
واكثرها منغص بالتعب ومشوب بالنصب وبسببها تفوت
راحة الدنيا الاخرة التي هي الدائمة الباقية والملك الذي لا يفنى
ولا نهاية له فسهل على العاقل ان يصبر في هذه الايام القلائل
لينال راحة دايمة بلا انقضاء لو كان لانسان معشوقة وقيل له ان
كنت في هذه الليلة تزورها فانها لا تعود تراها ابدا وان صبرت
عنها هذه الليلة سلمت اليك الف ليلة بلا تعب ولا نصب فانه وان
كان عشقه لها عظيما وصبره عنها اليما لكن يهون عليه صبره
على البعد عنها ليلة لينال قربها الف ليلة وهذه الدنيا ليست
واحدة من الف من مدة الآخرة بل ليست بشئ في جنب الاخرة
ولا نسبة بينهما لان الآخرة لا نهاية لها ولا يدرك الوهم طولها
وقد افردنا في صفة الدنيا كتابا لكن نقنع الان بما نورده من

احوال الدنيا وقد اوضحنا حالها على عشرة امثال

(المثال الاول في بيان سحر الدنيا)

قال النبي صلى الله عليه وسلم احذروا الدنيا فانها اسحر من هاروت وماروت وأول سحرها تريك كأنها ساكنة عندك مستقرة معك واذا تأملتها خلتها ساكنة وهي هاربة نافرة عنك على الدوام وانما تتسلل على التدريج ذرة ذرة ونفسا نفسا ومثل الدنيا كمثل الظل اذا رايته حسبته ساكنا وهو يمر دائما فكذلك عمر الانسان يمر بالتدريج على الدوام وينقص كل لحظة وكذلك الدنيا تدعوك وتهرب منك وانت غافل لا تخبر وذاهل لا تشعر

(المثال الثاني)

انها تظهر لك محبة لتعشقها وتريك انها لك مساعدة وانها لا تنتقل عنك الى غيرك ثم تعود عدوة لك على غفلة ومثلها كمثل امرأة فاجرة خادعة للرجال حتى اذا عشقوها دعتهم الى بيتها فاغتالتهم وأهلكتهم رآى عيسى عليه السلام الدنيا في مكاشفاته وهي على صورة عجوز هرمة فقال لها كم كان لك زوج فقالت لا يحصون كثرة فقال ما تواعنك ام طلقوك فقالت بل انا قتلتهم وافنيتهم فقال يا عجباه لها وللحمقا الاخرين الذين يشاهدون ما بسواهم صنعت وهم فيك يرغبون وبغيرهم لا يعتبرون

(المثال الثالث)

ومن سحرها انها تزين ظاهرها بمحاسنها وتخفي محنها وقبائحها في باطنها لتغر الجاهل بما يراه من ظاهرها ومثلها كمثل عجوز قبيحة المنظر تخفي وجهها وتلبس أحسن الثياب وتتزين

وتتجمل لتفتن الخلق من بعيد فاذا كشفوا غطاءها وخمارها والقوا عنها ازارها ندموا على محبتها لما شاهدوا من قبائحها وعاينوا من فضايحها وقد جاء في الخبران الدنيا يؤتى بها يوم القيامة في صورة عجوز قبيحة مشوهة زرقاة العين وحشة الوجه قد فغرت عن أنيابها وكشرت عن اسنانها فاذا رآها الخلائق قالوا نعوذ بالله منها ماهذه القبيحة المشوهة فيقال لهم هذه الدنيا التي كنتم عليها تحاسدون ولاجلها تحاقدون وتسفكون الدماء بغير حق وتقطعون ارحامكم وتغترون بزخرفها ثم يؤمر بها الى النار فتقول الهي اين احبابي فيؤمر بهم فيلقون معها في النار

(المثال الرابع)

أن يحسب الانسان كم كان من الازل قبل ان يوجد في الدنيا وكم تكون مدة عدمه بالموت وكم قدر هذه المدة التي بين الازل والابد وهي مدة حياته في الدنيا فيعلم مثال الدنيا كطريق المسافر اوله المهد وآخره اللحد وفيما بينهما منازل معدودة وان كل سنة كمنزلة وكل شهر كفرسخ وكل يوم كميل وكل نفس كخطوة وهو يسير دائما دائبا فيبقى لواحد من طريقه فرسخ ولاخر اقل واكثر وهو قاعد ذاهل ساكن غافل كأنه مقيم لا يبرح وقاطن لا ينزح قد اشتغل بتدبير اعمال لا يحتاج اليها بعد عشرة سنين وربما حصل بعد عشرة ايام في التراب

(المثال الخامس)

اعلم ان مثل الدنيا وما يحتقب اهلها فيها بشهواتهم ولذاتهم من الفضايح التي يشاهدونها في الآخرة كمثل انسان أكل فوق حاجته من طعام حلو سمين الى ان ساء هضمه وهاضت معدته فراى فضيحة من هلاك معدته ونتونة نفسه وكثرة برازة حاجته

فندم بعد ذهاب لذته وبقاء فضيحته فكذلك كلما الف الانسان
لذات الدنيا كانت عاقبته اصعب وتبين له ذلك عند نزعه
وخروج روحه لا كمن كان له نعم كثيرة وذهب وفضة وجواهر
وجوار وغلمان وكرم وبستان كان ألم فراق روحه عليه اصعب
من الم ليس له الا القليل فان ذلك الالم والعذاب لا يزول بالموت
بل يزيد بالموت لان تلك المحبة صفة القلب والقلب بحاله لا يموت

(المثال السادس)

اعلم ايها السلطان ان امور الدنيا اول ما يبداء بطلبها الانسان
قريبة مختصرة يخاف ان شغلها لا يطول وربما كان من بعض
اشغالها واحوالها امر يتسلسل منه مائة امر وينفق فيه بضاعة
العمر قال عيسى عليه السلام طالب الدنيا كشارب ماء البحر كلما
ازداد شربا ازداد عطشا ولا يزال يشرب منه الى ان يهلك ولا
يروى قال النبي صلى الله عليه وسلم كما لا يمكن من خاض البحران
لا يناله البلل كذا لا يمكن من دخل في امر الدنيا ان لا يتدنس

(المثال السابع)

مثل من حصل في الدنيا كمثل ضيف دعي الى مائدة وعادة المضيف
ان يزين للاضياف داره ويدعو اليها قوما بعد قوم وفوجا اثر فوج
ويضع بين يدي اضيافه طبقا من ذهب مملواء بالجواهر ومجمرة
من فضة فيها عود وبخور ليتطيبوا وليتبخروا وينالهم طيب
رائحتهما ثم يعاد الطبق والمجمرة بحالهما لملكهما ليدعو اغيرهم
كما دعاهم فمن كان عاقلا عارفا برسم الدعوات وضع من ذلك البخور
وتطيب وانطلق ولم يطمع في ان يتناول المجمرة والطبق وتركهما
بطيب نفس من قلبه وشكر لصاحب البيت وربه وانصرف راشدا
ومن كان احمق ابله توهم ان ذلك الطبق والمجمرة قد أعدله وانهم

يريدون ان يهبوه ماله فلما هم بالخروج من الدار اخذ الطبق والمجمرة فاستعادوهما منه فضاق صدره وتعب قلبه وطلب الاقاله اذظهر ذنبه فالدنيا كمثل دار الضيافة يتزودون فيها لطريقهم ولا يطمعوان فيما في الدار

(المثال الثامن)

مثل اهل الدنيا واشتغالهم واهتمامهم بأحوالها ونسيان الآخرة واهمالها كمثل قوم ركبوا مركبا في البحر فعدلوا الى جزيرة لاجل الطهارة وقضاء الحاجة فنزلوا الى الجزيرة والملاح يناديهم لاتطيلوا المكث لئلا يفوت الوقت ولاتشتغلوا بغير الوضوء والصلاة فانّ المركب ساير فمضوا وتفرقوا في الجزيرة وانتشروا في نواحيها فالعقلاء منهم لم يمكثوا وشرعوا في الطهارة وعادوا الى المركب فوجدوا الا ماكن خالية فجلسوا في أطهر اماكنه وأوفقها واطيب مواضعه وارفقها ومنهم قوم نظروا الى عجايب تلك الجزيرة ووقفوا يتنزهون في زهرها واثمارها وروضها واشجارها ويسمعون ترنم اطيارها ويتعجبون من حصبائها الملونة وأحجارها فلما عادوا الى المركب لم يجدوا فيه موضعا ولا رأوا متسعا فقعدوا في اضيق مواضعه واظلمها ومنهم قوم لم يقنعوا بالنزهة ولم يقتصروا على الفرجة لكنهم جمعوا من تلك الحصباء الملونة وحملوها معهم الى المركب فلم يجدوا مكانا فقعدوا في اضيق المواضع وحملوا ما استصحبوا من تلك الاحجار على اعناقهم فلم يمض الا يوم او يومان حتى تغيرت الوان تلك الاحجار واسودّت وفاح منها اكره رائحة ولم يجدوا مخلصا من الزحام ليلقوا ثقالها عن اعناقهم فندموا على مافعلوا وحملوا بثقل الاحجار على اعناقهم اذ كانوا بتحصيلها اشتغلوا ومنهم قوم وقفوا مع عجايب تلك الجزيرة تنزهوا وفي الرجوع لم يتفكروا حتى صار المركب

فبعدواعنه وانقطعوانی ایما کنهم وتخلفوا الذلم یصغوا الی المنادی ولم یسمعوا فمنهم من هلك من الجوع ومنهم من اکلته السباع ونهشته الضباع فالقوم المتقدمون هم المؤمنون المتقون والقوم المتخلفون الهالکون هم الکفار والمشرکون الذین نسوا الله ونسوا الآخرة وسلموا کلیتهم الی الدنیا ورکنوا الیها کما قال جل جلاله الذین استحبوا الحیاة الدنیا علی الآخرة أی رکنوا الیها واما الجماعة المتوسطون فهم العصاة الذین حفظوا اصل الایمان ولکنهم لم یکفوا ایدهم عن الدنیا فمنهم من تمتع بغناه ونعمته ومنهم من تمتع مع فقره وحاجته الی ان ثقلت اوزارهم وکثرت اوساخهم وآصارهم

(المثال التاسع)

روی ابوهریرة رضی الله عنه ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال یوما یا اباهریرة ترید ان اریك الدنیا فقلت نعم فاخذ بیدی وانطلق حتی وقف بی علی مزبلة فیها رؤس الادمیین ملقاة وبقایا عظام نخرة وخرق قد تمزقت وتلوثت بنجاسات الادمیین فقال یا اباهریرة هذه رؤس الناس التی تراها کانت مثل رؤسکم کانت مملوءة من الحرص والاجتهاد علی جمع الدنیا وکانوا یرجون من طول الاعمار ما ترجون وکانوا یجدّون فی جمع المال وعمارة الدنیا کما تجدّون فالیوم ثوت عظامهم وتلاشت اجسامهم کما تری وهذه الخرق کانت اثوابهم التی کانوا یتزینون بها عند التجمل وقت الرعونة والتجمل والتزین فالیوم قد القتها الریح فی النجاسات وهذه عظام دوابهم التی کانوا یطوفون اقطار الارض علی ظهورها وهذه النجاسات کانت اطعمتهم اللذیذة التی کانوا یحتالون فی تحصیلها ینهبها بعضهم من بعض قد القیت عنهم بهذه الفضیحة التی لا یقربها احد من نتنها فهذه جملة احوال

الدنيا كما تشاهد وترى فمن اراد ان يبكى على الذنب فليبك فانها
موضع البكاء قال ابوهريرة فبكا جماعة الحاضرين

(المثال العاشر)

كان فى زمن عيسى روح الله عليه السلام ثلاثة سائرين
فوجدوا كنزا فقالوا قد جعنا فليمض واحد منا فليبتاع لنا طعاما
فمضى ليأتيهم بطعام فقال الصواب ان أجعل لهما فى الطعام سما
قاتلا ليأكلاه فيموتوا وانفرد انا بالكنز دونهما ففعل ذلك وسم
الطعام واتفق الرجلان الآخران انهما اذا وصل اليهما بالطعام قتلاه
وانفردا بالكنز دونه فلما وصل اليهما بالطعام المسموم قتلاه واكلا
من الطعام فماتا فاجتاز عيسى عليه السلام بذلك المكان فقال
للحواريين هذه الدنيا فانظروا كيف قتلت هؤلاء الثلاثة وبقيت
بعدهم ويل لطلاب الدنيا من الديان

(العين الثانية فى معرفة النفس)

اعلم ايها السلطان العالم ان بنى آدم طائفتان طائفة نظروا
الى شاهد حال الدنيا وتمسكوا بتأميل العمر الطويل
ولم يتفكروا فى النفس الاخير وطائفة عقلاء جعلوا النفس الاخير
نصب اعينهم لينظروا الى ماذا يكون مصيرهم وكيف يخرجون
من الدنيا ويفارقونها وايمانهم سالم وما الذى يدخل معهم من
الدنيا فى قبورهم وما الذى يتركونه لاعدائهم من بعدهم ويبقى
عليهم وباله ونكاله وهذه الفكرة واجبة على جميع الخلق وهى على
الملوك واهل الدنيا اوجب لانهم كثيرا أزعجوا قلوب الخلق وأنفذوا
الى الناس الغلمان بالتلبيسات وازعجوا الخليقة وادخلوا فى قلوبهم
الرعب فان بحضرة الحق تعالى ذكره غلاما يقال له عزرائيل
يعرف بملك الموت لا مهرب لاحد من مطالبته وتشبثه وكل

موكلي الملوك يأخذون جعلهم ذهبا وطعاما وصاحب هذا التوكل لا يأخذ سوى الروح جعلا وسائر موكلي السلاطين تنفع عندهم الشفاعة وهذا الموكل لا ينفع عنده شفاعة شافع وجميع الموكلين يمهلون من يوكلون به اليوم والساعة وهذا الموكل لا يمهل نفسا واحدا وعجائب احواله كثيرة الا اننا نذكر من احواله خمس حكايات

(الحكاية الاولى)

وهي مارواه وهب بن منبه وكان من علماء اليهود واسلم

روي ان ملكا عظيما اراد ان يركب يوما في جملة اهل مملكته ويري الخلائق عجايب زينته فامر امراءه بالركوب ليظهر للناس سلطنته فأمر باحضار فاخر الثياب وأمر بعرض خيوله الموصوفة وعتاقه المعروفه فاختار من جملتها جوادا وصف بالمشي والسبق فركبه بالمركب والطوق المرصع بالجواهر وجعل يركض الحصان بين عسكره ويفتخر بتيهه وتبختره فجاء ابليس فوضع فمه على منخره ونفخ هواء الكبر في انفه فقال في نفسه من في العالم مثلي وجعل يركض بالكبرياء ويزهو بالخيلاء ولا ينظر الى احد من تيهه وكبره وعجبه وفخره فوقف بين يديه رجل عليه ثياب رثه فسلم عليه فلم يرد سلامه فقبض عنان فرسه فقال الملك ارفع يدك فانك لا تدري بعنان من قد مسكت فقال لي اليك حاجة فقال له اصبر الى ان انزل فقال حاجتي هذه الساعة اليك لا عند نزولك فقال اذكر حاجتك فقال انها سر لا أقولها الا في أذنك فاصغى بسمعه اليه فقال انا ملك الموت اريد اقبض روحك فقال امهلني بقدر ما اعود الى بيتي وأودع اهلي واولادي وزوجتي فقال كلا لا تعود تراهم فانك ميت قد فنيت مدة عمرك واخذ روحه على ظهر الفرس فخر ميتا فعاد ملك الموت من هناك فأتى رجلا صالحا قد رضي ربه

عنه

عنه فقال له لى اليك حاجة وهى سر فقال الصالح قل حاجتك فى اذنى فقال انا ملك الموت فقال مرحبابك الحمد لله على مجيئك فانى كنت كثير الترقب لمجيئك و وصولك ولقد طالت غيبتك وكنت مشتاقا الى قدومك فقال له ملك الموت ان كان لك شغل فاقضه قال فليس لى شغل اهم من لقاء ربى فقال كيف تحب ان اقبض روحك فانى امرت ان اقبض روحك كيف أثرت واخترت فقال اتركنى ريثما اتوضأ واصلى فاذا انا سجدت فخذ روحى وانا ساجد ففعل ملك الموت ما امره ونقل الى رحمة ربه

(الحكاية الثانية)

يروى انه كان ملك كثير المال قد جمع مالا عظيما واحتشد من كل نوع خلقه الله تعالى من متاع الدنيا ليرفه نفسه ويتفرغ لاكل ماجمعه فجمع نعما طائلة وبنى قصرا عاليا مرتفعا شامخا يصلح للملوك والامراء والاكابر والعظماء وركب عليه بابين محكمين واقام عليه الغلمان الاجلا والحرسة والاجناد والبوابين كما أراد وأمر بعض الايام أن يصطنع له من أطايب الطعام وجمع أهله وحشمه وأصحابه وخدمه ليأكلوا عنده وينالوا رفده وجلس على سرير مملكته واتكأ على وسادته وقال يا نفس قد جمعتى نعم الدنيا بأسرها والآن افرغى بالك وكلى هذه النعم مهنأة بالعمر الطويل والحظ الجزيل فلم يفرغ مما حدث به نفسه حتى أتى رجل من ظاهر القصر عليه ثياب خلقة ومخلاة فى عنقه معلقة على هيئة سائل يسأل الطعام فجاء وطرق حلقة باب القصر طرقة عظيمة هائلة بحيث تزلزل القصر وتزعزع السرير وخاف الغلمان و وثبوا الى الباب وصاحوا بالطارق وقالوا يا ضعيف ماهذا الحرص وسوء الادب اصبر الى أن نأكل ونطعمك مما يفضل فقال لهم قولوا لصاحبكم يخرج الى فلى اليه شغل مهم وأمر ملم

فقالوا للشيخ ايها الضعيف من أنت حتى نأمر صاحبنا بالخروج اليك فقال أنتم عرفوه ماذكرت لكم فلما عرفوه قال هلا نهرتموه وحردتم عليه وزجرتموه ثم طرق حلقة الباب أعظم من الطرقة الاولى فنهضوا من أماكنهم بالسلاح ليحاربوه فصاح بهم صيحة وقال الزموا امكانكم فأنا ملك الموت فرعبت قلوبهم وطاشت جلودهم وارتعدت فرائصهم وبطلت عن الحركة جوارحهم فقال لهم الملك قولوا له يأخذ بدلا مني وعوضا عني فقال ما اخذ ولا أتيت الا لاجلك لافرق بينك وبين النعم التي جمعتها والاموال التي قد حويتها وخزنتها فتنفس الصعداء وقال لعن الله هذا الذي غرني وأضرني ومنعني عن عبادة ربي وكنت أظنّ انه ينفعني فاليوم صار حسرتي وبلائي وخرجت صفر اليدين منه ويبقى لاعدائي فانطق الله تعالى المال حتى قال لاى سبب تلعني العن نفسك فان الله تعالى جدّه خلقني واياك من تراب وجعلني في يدك لتتزود بي الى اخرتك وتتصدّق بي على الفقراء وتتزكى على لضعفاء وتعمر بي الربط والمساجد والجسور والقناطر لاكون عونا لك في اليوم الآخر وانت جمعتني وخزنتني وفي هواك انفقتني ولم تشكر حقي بل كفرتني فالآن تركتني لاعدائك وانت بحسرتك وضرائك فاى ذنب لي فتسبني وتلعنني ثم ان ملك الموت قبض روحه قبل اكل الطعام فسقط عن سريره صريع الحمام

(الحكاية الثالثة)

قال يزيد الرقاشي كان في بني اسرائل جبار من الجبابرة وبينما هو في بعض الايام جالس على سرير مملكته فرأى رجلا قد دخل من باب الدار ذا صورة منكرة وهيئة هائلة فلشدة خوفه من هجومه وهيبة قدومه وثب في وجهه وقال له من انت ايها الرجل ومن اذن لك في الدخول الى داري فقال امرني صاحب الدار وانا

الذی لا یحجبنی حاجب ولا احتاج فی دخولی علی الملوك الی اذن ولا ارهب سیاسة سلطان ولا یفزعنی جبار ولا لاحد من قبضتی فرار فلما سمع هذا الكلام خر علی وجهه ووقعت الرعدة فی جسده وقال انت ملك الموت فقال له نعم فقال اقسم علیك بالله الا ما امهلتنی یوما واحدا لا توب من ذنبی واطلب العذر من ربی وارد الاموال التی اودعتها خزائنی الی اربابها ولا اتحمل مشقة عذابه فقال كیف امهلك وایام عمرك محسوبة واوقاته مثبوتة مكتوبة فقال امهلنی ساعة فقال ان الساعات فی الحساب وقد عبرت وانت غافل وانقضت وانت ذاهل وقد استوفیت انفاسك ولم یبق لك نفس واحد فقال من یكون عندی اذا نقلت الی لحدی فقال لا یكون عندك سوی عملك فقال مالی عمل قال له فلا جرم یكون مقیلك فی النار ومصیرك الی غضب الجبار وقبض روحه فخر من سریره ووقع وعلا الضجیج من اهل مملكته وارتفع ولو علموا ما یصیر الیه من سخط ربه لكان بكاءهم علیه اكثر وعویلهم اوفر

(الحكایة الرابعة)

یروی ان ملك الموت علیه السلام دخل یوما علی سلیمان بن داود علیهما السلام فجعل یحد بصره ویطیل نظره الی رجل من ندمائه فقال ذلك الندیم یا نبی الله من كان هذا الرجل الذی دخل علینا فقال ملك الموت فقال اخاف ان یرید قبض روحی فخلصنی منه فقال كیف اخلصك فقال تأمر الریح ان تحملنی هذه الساعة الی اقصی بلاد الهند لعله یضل عنی ولا یجدنی فأمر سلیمان الریح فحملته الی اقصی بلاد الهند فی الوقت والحال فعاد ملك الموت ودخل علی سلیمان فقال له لای سبب كنت تطیل النظر الی ذلك الرجل فقال كنت اتعجب منه لانی امرت ان اقبض روحه

بالهند وكان بعيدا عنها الى ان اتفق بحمل الريح له الى هنالك ما قدره الله سبحانه وتعالى

(الحكاية الخامسة)

يروى ان ذا القرنين اجتاز بقوم لا يملكون شيأ من اسباب الدنيا وقد حفروا قبورا موتاهم على ابواب دورهم وهم كل وقت يتعهدون تلك القبور ويكنسونها وينظفونها ويزورونها ويعبدون الله تعالى بينها وما لهم طعام الا الحشيش ونبات الارض فبعث ذو القرنين اليهم رجلا يستدعى ملكهم فلم يجئه وقال مالى اليه حاجة فجاء ذو القرنين اليه وقال له كيف حالكم فانى لا ارى لكم شيأ من ذهب ولا فضة ولا أرى عندكم شيأ من نعم الدنيا فقال أرى نعم الدنيا لا يشبع منها احد قط فقال لهم لم حفرتم القبور على ابوابكم فقال لتكون نصب اعيننا فننظر اليها ويتجدد لنا ذكر الموت ويبرد حب الدنيا فى قلوبنا فلا نشتغل بها عن عبادة ربنا فقال كيف تأكلون الحشيش فقال لانا نكره ان نجعل بطوننا مقابر الحيوان ولان لذة الطعام لا تتجاوز الحلق ثم مد يده الى طاقة فيها قحف رأس ادمى فوضعه بين يديه وقال يا ذا القرنين تعلم ما كان من هذا قال لا قال كان صاحب القحف ملك من ملوك الدنيا وكان يظلم رعيته ويجور على الضعفاء ويستغرق زمانه فى جمع الدنيا فقبض الله روحه وجعل النار مقره وهذا قحفه ثم مد يده ووضع قحفا اخر بين يديه وقال له اتعرف هذا فقال لا فقال كان هذا ملكا عادلا مشفقا على رعيته محبا لاهل مملكته فقبض الله روحه واسكنه جنته ورفع درجته ثم انه وضع يده على رأس ذى القرنين وقال ترى اى هذين الرأسين يكون هذا الرأس فبكا ذو القرنين بكاء شديدا وضمه الى صدره وقال ان رغبت فى صحبتى فانى أسلم اليك وزارتى واقاسمك مملكتى

فقال مالى فى ذلك رغبة فقال لم قال لان جميع الخلق أعداءك
بسبب المال والمملكة وجميعهم اصدقائى بسبب القناعة
والصعلكة فالله معك فالآن يجب ان تعلم حكايات النفس
الاخير وتتدبر بها وتتيقن معرفتها وتتصورها وينبغى ان تعلم
ان هذا الغفلة المغترين بالمهلة لا يحبون استماع ذكر الموت لئلا
يبرد حب الدنيا فى قلوبهم وتتنغص عليهم لذة مأكولهم
ومشروبهم وقد جاء فى الخبر ان من اكثر ذكر الموت وظلمة اللحد
كان قبره روضة من رياض الجنة ومن نسى الموت وغفل عن ذكره
كان قبره حفرة من حفر النار كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصف يوما ثواب الشهداء واجر السعداء الذين قتلوا فى معركة
حرب الكفار فقالت عائشة رضى الله عنها هل ينال مثل ثواب
من لم يمت شهيدا فقال صلى الله عليه وسلم من ذكر الموت بكل يوم
عشرين مرة كان له مثل أجر الشهداء ودرجتهم وقال صلى الله عليه
وسلم اكثروا من ذكر الموت فانه يمحوا الذنوب ويبرد حب الدنيا فى
القلوب وسئل صلى الله عليه وسلم من احزم الناس واعقلهم فقال
اعقل الناس أكثرهم للموت ذكرا واحزمهم واحسنهم له
استعدادا له شرف الدنيا وكرامة الاخرة ومن عرف الدنيا كما
ذكرناه وكرر فى قلبه ذكر النفس الاخير سهلت عليه امور دنياه
وقوى اصل شجرة الايمان فى قلبه ولو لم يأخذ فى ظلمها الظالمون
لتتفرق اهل الولايات الى ولايات غيرها ويقع النقص
فى الملك ويقل فى البلاد الدخول وتخلوا الخزائن من
الاموال ويتكدر عيش الرعايا لان الرعايا لا يحبون جائرا ولا يزال
دعاءهم عليه متواترا فلا يتمتع بمملكته وتسرع اليه دواعى
هلكته وقال مؤلف الكتاب الظلم نوعان احدهما ظلم السلطان
لرعيته وجور القوى على الضعيف والغنى على الفقير * والثانى

ظلمت لنفسك وذلك شوم معصيتك فلا تظلم ليرفع عنك الظلم كما جاء فى الحكاية

(حكايه)

يقال انه كان فى بنى اسرائيل رجل يصيد السمك و يقوت بصيده اطفاله و زوجته فكان فى بعض الايام يتصيد فوقعت فى شبكته سمكة عظيمة ففرح بها و قال امضى بهذه السمكة الى السوق فأبيعها و أخرجها فى نفقة الاولاد فلقيه بعض العوانية فقال له تبيع هذه السمكة فقال الصياد فى نفسه ان قلت له نعم اشتراها منى بنصف ثمنها فقال ما ابيعها فغضب العوانى وضربه بخشبة كانت معه على صلبه واخذ السمكة منه غصبا بلا ثمن فدعا الصياد عليه وقال الهى خلقتنى مسكينا ضعيفا وخلقته قويا عنيفا فخذ لى بحقى منه فى هذه الدنيا فما اصبر الى الآخرة ثم ان ذلك الغاصب انطلق بالسمكة الى منزله و سلمها الى زوجته وامرها ان تشويها فلما شوتها و وضعتها بين يديه على المائدة مديده ليأ كل منها ففتحت السمك فاها ولكزت اصبعه لكزة سلبت قراره وازالت بشدّة عضتها اصطباره * فقصد الطبيب وشكا اليه حاله وذكر له ما ناله * فقال الطبيب ينبغى ان تقطع هذه الاصبع لئلا يسرى الالم الى جميع اليد فقطع اصبعه فانتقل الوجع الى يده وازداد تألمه وزال قراره فقال الطبيب ينبغى ان تقطع اليد من المعصم لئلا يسرى الالم الى الساعد فقطع يده فتوجع ساعده فقال الطبيب ينبغى ان تقطع ساعده لئلا يسرى الالم الى الكتف فقطع ساعده فتوجع كتفه فخرج من مكانه هاربا على وجهه داعيا الى ربه ليكشف ما قد نزل به فرأى شجرة فاتكأ اليها فاخذه النوم فنام فرأى فى منامه قائلا يقول له يا مسكين الى كم تقطع امض وارض خصمك فانتبه من نومه وتفكر فتذكر وقال انا

اخذت السمكة غصبا * واوجعت الصياد ضربا * وهي التي لدغتني
فنهض و قصد المدينة وطلب الصياد فوجده فوقع بين يديه
والتمس الاقالة واعطاه شيأ من ماله وتاب من فعاله * فرضي عنه
خصمه ففي الحال سكن المه * وبات تلك الليلة على فراشه وقد تاب
واقلع عما كان يصنع ونام على توبة خالصة ففي اليوم الثاني تداركه
ربه برحمته ورد يده كما كانت بقدرته ونزل الوحي الى موسى عليه
السلام ان ياموسى وعزتي وعظمتي لولا ان الرجل ارضى خصمه
لعذبته مهما امتدت حياته

(حكاية)

كان موسى عليه السلام يناجي ربه على الطور فقال في مناجته
الهى ارني عدلك وانصافك فقال له تعالى ياموسى انت رجل
حادجي لا تقدر ان تصبر فقال اقدر على الصبر بتوفيقك فقال
قصد العين الفلانية واختف بازائها وانظر الى قدرتي وعلمي
بالغيوب فمضى موسى وصعد الى تل بازاء تلك العين وقعد مختفيا
فوصل الى العين فارس ونزل عن فرسه وتوضأ من العين وشرب
من مائها وحل من وسطه هميانا فيه الف دينار ووضعه الى
جانبه وصلى ركعتين ثم ركب ونسي الهميان في موضعه وسار
فجاء بعده صبي صغير فشرب من الماء واخذ الهميان ومضى فجاء
بعد الصبي شيخ اعمى فشرب من الماء وتوضى ووقف في الصلاة
فذكر الفارس الهميان فعاد من طريقه الى العين فوجد الشيخ
الاعمى فلزمه وقال اني نسيت هميانا فيه الف دينار في هذا الموضع
في هذه الساعة وما جاء احد الى هذا المكان سواك فقال انا رجل
اعمى كيف ابصر هميانك فغضب الفارس من ذلك وجرد سيفه
وضرب به الاعمى فقتله وفتشه عن الهميان فلم يجده فتركه ومضى
فقال موسى عليه السلام الهى نفذ صبري وانت عادل فعرفني

كيف هذه الاحوال فهبط جبريل عليه السلام وقال البارى
جلت قدرته يقول لك انا عالم الاسرار اعلم مالا تعلم اما الصغير
الذى اخذ الهميان فانه أخذ حقه وملكه وكان ابو هذا الصبى اجيرا
لذلك الفارس واجتمع له عليه بقدر ما فى ذلك الهميان فالآن
وصل الصبى الى حقه واما ذلك الشيخ الاعمى فانه قبل ان يعمى قتل
اباذلك الفارس فقد اقتص منه ووصل كل ذى حق الى اهله وعدلنا
وانصافنا دقيق كما ترى فلما علم موسى ذلك تحير واستغفر وهذه
الحكاية أوردناها ليعلم العقلاء ويتصور الالباء ان الله تعالى لا يخفى
عليه شئ وانه ينصف المظلوم فى الدنيا ونحن غافلون اذا جاءنا بلاء
لا نعلم من أين جاء سئل ذوا القرنين اى شئ من مملكتك انت
اكثر به سرورا فقال بشيئين احدهما العدل والانصاف والثانى ان
أكافى من احسن الى باكثر من احسانه وقال النبى صلى الله عليه
وسلم ان الله تعالى يحب الاحسان فى كل شئ حتى انه يحب انسانا
اذا ذبح شاة ان يهيئ لها المدية ليعجل خلاصها من الم الذبح وقال
ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لم يخلق الله فى الارض شيأ أفضل من العدل والعدل ميزان الله فى
الارض من تعلق به اوصله الى الجنة وعن ابن عمر رضى الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للمحسنين فى الجنة منازل
حتى المحسن الى اهله واتباعه وقال قتاده فى تفسير هذه الآية
ان لا تطغوا فى الميزان قال اراد به العدل فقال يا ابن آدم اعدل كما تحب
ان يعدل الله فيك وعن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان الله تعالى لما اهبط آدم الى الارض اوحى
اليه اربع كلمات وقال يا آدم عليك وعلى جميع ذريتك على هذه
الكلمات الاربع وهى كلمة لى وكلمة لك وكلمة بينك وبين الناس اما
الكلمة التى هى لى فهى ان تعبدنى ولا تشرك بى واما الكلمة التى

هی لك فانی اجازیك بعملك وأما الكلمة التی بینی وبینك فمنك الدعاء ومنی الاجابة وأما الكلمة التی بینك وبین الناس فهی ان تعدل فیهم وتنصف بینهم قال قتادة الظلم ثلاثة اضرب ظلم لا یغفر لصاحبه وظلم لا یدوم وظلم یغفر لصاحبه فاما الظلم الذی لا یغفر لصاحبه فهو الشرك بالله تعالی لقوله تعالی ان الشرك لظلم عظیم وأما الظلم الذی لا یدوم فانه ظلم العباد بعضهم لبعض وأما الظلم الذی یغفر لصاحبه فهو ظلم العبد لنفسه بارتكاب المعاصی ثم یرجع الی ربه ویتوب فان الله یغفر له برحمته ویدخله الجنة بفضله ومنته الدین والملك توأمان فینبغی ان یكون الملك دینا محبا للدین لان الدین والملك مثل اخوین ولدا فی بطن واحد فیجب ان یهتم الملك بامور الدین ویؤدی الفرائض فی اوقاتها ویجتنب الهوی والبدعة والمنكر والشبهة وكلما یرجع بنقصان الشرع وان علم ان فی ولایته من یتهم فی دینه ومذهبه فیأمر باحضاره وتهدیده وزجره ووعیده فان تاب وأناب والا اوقع به العقاب ونفاه عن ولایته لیطهر الولایة عن اغوائه وبدعته وتخلو من اهل الاهویة ویعز الاسلام ویستدیم عمدة الثغور بانفاذ العساكر والحماة الیها ویجتهد فی اعزاز الخلق ویحتاط فی اعادة رونق السنة والنبوة والسیرة المرضیة لتحمد عند الله تعالی طریقته وتعظم فی القلوب هیبته وتخاف سطوته اعداؤه ویعلو قدره ومنزلته وبهاؤه ویكبر فی عیون اضداده ویعظم عند انداده ویجب ان تعلم ان صلاح الناس فی حسن سیرة الملك فینبغی للملك ان ینظر فی امور رعیته ویقف علی قلیلها وكثیرها وعظیمها وحقیرها ولا یشارك رعیته فی الافعال المذمومة ویجب علیه احترام الصالحین وان یثبت علی الفعل الجمیل ویمنع من الفعل الردی الوبیل ویعاقب علی ارتكاب القبیح

ولا يحابي من اصر على القبيح ليرغب الناس في الخيرات ويحذروا من السيئات ومتى كان السلطان بلا سياسة وكان لا ينهى المفسد عن فساده ويتركه على مراده افسد سائر اموره في بلاده وقال الحكماء ان طباع الرعية نتيجة طباع الملك لان العوام انما يخلون ويركبون الفساد وتضيق اعينهم اقتداء منهم بملوكهم فانهم يتعلمون منهم ويلزمون طباعهم الا ترى انه قد ذكر في التاريخ ان الوليد بن عبد الملك من بني امية كان مصروف الهمة الى العمارة والزراعة وكان سليمان بن عبد الملك همته في كثرة الاكل وتطييب الطعام وقضائه الاوطار وبلوغ الشهوات وكانت همة عبد العزيز في العبادة والزهادة قال محمد بن علي بن الفضيل ما كنت اعلم ان امور الرعية تجري على عادة ملوكها حتى رأيت الناس في ايام الوليد بن عبد الملك قد اشتغلوا بعمارة الكرم والبساتين واهتموا ببناء الدور وعمارة القصور ورأيتهم في زمان سليمان بن عبد الملك قد اهتموا بكثرة الاكل وطيب الطعام حتى كان الرجل يسأل صاحبه اي لون اصطنعت وما الذي أكلت ورأيتهم في ايام عبد العزيز قد اشتغلوا بالعباده وتفرغوا التلاوة القرآن واعمال الخيرات واعطاء الصدقات لتعلم انّ في كل زمان تقتدي الرعية بالسلطان ويعملون باعماله ويقتدون بافعاله من القبيح والجميل واتباع الشهوات وادراك الارادات كما يقال

(حكاية)

ذكروا ان في زمن الملك العادل كسرى أنوشروان ابتاع رجل من رجل ارضا فوجد فيها كنزا فمضى سريعا الى البائع واخبره بذلك فقال انما بعتك ارضا ولا اعلم ما فيها والكنز الذي وجدته فهو لك ومبارك عليك فقال لا اريده ولا اطمع في اموال الناس فترافعا بهذه الدعوى الى الملك العادل ففرح انوشروان بذلك وقال هل

لكما اولاد فقال احدهما لى ابن وقال الآخر لى بنت فقال
انوشروان احب ان يكون بينكما قرابة وصلة وان تزوجا الابن
بالبنت وتنفقا هذا الكنز فى جهازهما ليكون الكنز لكما ولولديكما
ففعلا ما امرهما وتراضيا بما رسم لهما الملك ولو كان الرجلان فى زمن
سلطان جائر لقال كل واحد منهما الكنز لى ولكنهما لما علما ان
مليكهما عادل طلبا الحق وآثرا الصدق وقالت الحكماء الملك
كالسوق وكل واحد يجلب الى السوق ما يعلم انه نافق فيه غير
كاسد وما يعلم انه كاسد لا يجلبه الى ذلك السوق والرجلان
اللذان وجدا الكنز وترافعا الى السلطان علما ان الزهد والعدل
والصدق يعز عند ذلك السلطان وان الحق له عنده نفاق فلذلك
حملاه اليه واعرضاه عليه اما الآن فى هذا الزمان فكلما
يجرى على أيدى امرائنا والسنة ولاتنا فهو جزاؤنا واستحقاقنا
فكما انا ردئوا الاعمال قبيحوا الافعال ذووا خيانة وقلة
امانة فأمراؤنا ظلمة جائرون وغشمة متعدون كما تكونوا يولى
عليكم فقد صح بهذا الحديث ان أفعال الخلق عائدة الى أفعال
الملوك ألا ترى أنه اذا وصف بلد من البلاد بالعمارة وان أهله فى
أمان وراحة ودعة وغبطة فان ذلك دليل على عقل الملك وحسن
نيته مع رعيته وانه ليس ذلك من الرعية فقد صح ما قاله الحكماء
ان الناس بملوكهم أشبه منهم بزمانهم وقد جاء أيضا فى الخبر
الناس على دين ملوكهم وكان من سياسة انوشروان بحيث لو ان
رجلا القى فى مكان حملا من ذهب وبقى مهما بقى فى موضعه لم يقدر
أحد على ازالته من مكانه الا صاحبه وكان ثوبان وزير انوشروان
فقال له يوما لا تكن موافقا للاشرار فتخرب ولايتك وتقتصر
رعيتك فتصير حينئذ مالك الخراب وسلطان الفقراء ويقبح
اسمك فى الدنيا فكتب انوشروان الى عماله ان خبرت أنه قد

بقى فى مملكتى ارض خراب سوى ارض سبخة لا تقبل الزرع
صلبت عامل تلك الولاية وخراب الارض من شيئين أحدهما
عجز السلطان والثانى جوره وكان الملوك فى ذلك الزمان
يتفاخرون بالعمارة ويتحاسدون على اجتماع الرعية

(حكاية)

أرسل ملك هندوستان رسولا الى انوشروان وقال انا أولى بالملك
منك فانفذ لى خراج ولايتك فأمر انوشروان با نزال الرسول ثم جمع
فى اليوم الثانى أرباب دولته واعيان مملكته وأذن للرسول
فى الدخول عليه فلما دخل عليه ومثل بين يديه قال له اسمع
جواب رسالتك ثم امر انوشروان باحضار صندوق ففتحه وأخرج
منه صندوقا صغيرا وأخرج منه قبضة من كبر وسلمها الى الرسول
وقال هل فى ولايتكم شئ من هذا قال نعم هذا عندنا كثير فقال
له انوشروان ارجع وقل للملك الهند يجب عليك أن تعمر ولايتك
فانها خراب ثم تطمع فى ولاية عامرة فانك لو طفت جميع اطراف
ولايتى وطلبت أصلا واحدا من كبر لم تجده ولو سمعت ان فى
موضع من ولايتى أصلا واحدا من كبر له لصلبت عامل تلك الولاية
فيجب على الملك ان يسلك طريق الملوك الذين تقدموا ويعمل على
سنتهم فى الخير ويقرأ كتب مواعظهم ووصاياهم لانهم كانوا
أطول أعمارا وأكثر تجاربا واعتبارا وانهم فرقوا بين الجيد والردئ
وعرفوا الجلى والخفى وكان انوشروان مع حسن سيرته يقرأ كتب
المتقدمين ويطلب استماع حكاياتهم ويمضى على منهاجهم
وسنتهم وملوك هذا الزمان أجدر أن يفعلوا ذلك

(حكاية)

سأل انوشروان العادل يوما وزيره يونان وقال أريد تخبرنى بسيرة

الملوك

الملوك المتقدمين فقال له يونان تريد أن أمدحهم بثلاثة أشياء أم بشيئين أو بشئ واحد فقال امدحهم بثلاثة أشياء فقال يونان ما وجدت لهم فى شغل من الاشغال ولا فى عمل من الاعمال قط كذبا ولا رأيت لهم بشئ جهلا ولا رأيت لهم فى حال من الاحوال غضبا فقال أمدحهم بالشيئين فقال كانوا يسارعون فى أعمال الخير وكانوا أبدا يحذرون من أعمال الشر فقال امدحهم بشئ واحد فقال يونان كانت سلطنتهم وجراءتهم على انفسهم أكثر مما كانت على غيرهم فطلب انوشروان الكاس وقال ولهذا الكاس سرورا بالكرام الذين يأتون بعدنا ويملكون تاجنا وتختنا ويذكروننا كما نذكر نحن من تقدمنا واشقى الناس من اغتر بملكه وعمر الدنيا وهو لا يدرى كيف ينبغى أن يعيش فيها فيعبر دنياه بالتعب ويحصل فى الآخرة بالندم السرمد والعذاب المؤبد وانما كان قصد اولئك الملوك واجتهادهم فى عمارة الدنيا ليبقى فيها بعدهم طيب الذكر مدى الايام والدهر كما جاء فى الحكاية

(حكاية)

كان لانوشروان كرم يعرف بهزاركام فاجتمع يوما فيه قيصر ملك الروم وفغفور جين وملك هندوستان فى ضيافة انوشروان فتكلم كل واحد منهم بكلمة حكمة فقال قيصر ليس شئ فى هذه الدنيا أجود من فعل الخير والاسم الصالح والذكر الطيب فانه يذكر به صاحبه دائما فيقال بعده لم لا نكون نحن مثله فقال انوشروان تعالوا حتى نفعل الخير ونتفكر فى الخير فقال قيصر اذا تفكرت فى الخير عملت الخير واذا عملت الخير نلت المراد فقال فغفور جين الله يبعد عنا فكرة ان ظهرت استحيينا وان ذكرناها خجلنا وان فعلناها ندمنا وقال قيصر لانوشروان أى شئ أحب اليك قال أحب الاشياء الى أن اقضى حاجة من رآنى اهلا

لقضاء حاجته فقال قيصر انا احب ان لا اذنب حتى لا اخاف ملوكا يكون هذا حديثهم وكلامهم انظر كيف كان سيرتهم مع رعيتهم ما سلطان الاسلام يجب ان تسمع اقوال هؤلاء الملوك وتنظر اعمالهم وتقرأ حكاياتهم من الكتب وما ينظر فيها من نعت عدلهم وانصافهم وحسن سيرتهم وطيب خبرهم وذكرهم الجارى على السنة الخلق الى يوم القيامة كان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه من العدل والسياسة الى حد اقام فيه الحد والعقاب على ولده حتى مات وكان اذا انفذ عمالا الى اعمال قال لهم اشتروا دوابكم واسلحتكم من ارزاقكم ولا تمدوا ايديكم الى بيت مال المسلمين ولا تغلقوا ابوابكم دون ارباب الحوائج قال عبد الرحمن بن عوف دعانى عمر بن الخطاب ذات ليلة وقال قد نزل بباب المدينة قافلة واخاف عليهم اذا ناموا أن يسرق شئ من متاعهم فمضيت معه فلما وصلنا قال لى نم انت ثم انه جعل يحرس القافلة طول ليلته وقال عمر رضى الله عنه يجب على ان اسافر لاقضى حوائج المسلمين فى اقطار الارض لانهم ضعفاء لا يقدرون على قصدى فى حوائجهم لبعد المكان فينبغى أن اطوف فى البلاد لاشاهد احوال العمال واسير سيرتهم واقضى حاجات المسلمين فلا يكون فى سنى عمرى ابرك من هذه السنة

(حكاية)

قال زيد بن اسلم رأيت ذات ليلة عمر بن الخطاب رضى الله عنه يطوف مع العسس فتبعته وقلت أتأذن لى ان اصحبك فقال نعم فلما خرجنا من المدينة رأينا نارا من بعد فقلنا يكون هناك مسافر فقصدنا النار فرأينا امرأة ارملة ومعها ثلاثة اطفال صغار وهم يبكون وقد صنعت لهم قدرا على النار وهى تقول الهى انصفنى من

عمر وخذلي منه بالحق فانه شبعان ونحن جياع فلما سمع عمر بن
الخطاب ذلك تقدم وسلم عليها وقال لها اتأذنين أن ادنو اليك
فقالت المرأة ان دنوت بخير فبسم الله فتقدم وسألها عن حالها
وحال اطفالها فقالت وصلت وهؤلاء الاطفال معي من مكان
بعيد وانا جائعة والاطفال جياع وقد بلغ مني ومنهم الجهد والجوع
وقد منعهم عن الهجوع فقال عمر واي شئ في هذه القدر فقالت
تركت لهم فيها ماء اشاغلهم به ليظنوا انه طعام قال زيد فعاد امير
المؤمنين وقصد دكانا يباع فيه الدقيق فابتاع منه ملء جراب
ومضى الى دكان القصاب فابتاع منه دسما ووضع الجميع على
كاهله وحمله يطلب به المرأة والاطفال فقلت يا امير المؤمنين
ناولنيه لاحمله عنك فقال ان حملته عني فمن يحمل عني ذنوبي ومن
يحول بيني وبين دعاء تلك المرأة علي وجعل يسعى ويبكي الى ان
وصلنا الى المرأة فقالت المرأة جزاك الله عني خير الجزاء فاخذ عمر
جزأ من الدقيق وشيأ من الدسم فوضعه في القدر وجعل يوقد
النار وكلما ارادت ان تخمد نفخها وكان الرماد يسقط على وجهه
ومحاسنه حتى انطبخت القدر فوضع الطبيخ في القصعة وقال
للاطفال كلوا فاكلت المرأة والاطفال فقال عمر ايتها المرأه
لا تدعين على عمر فانه لم يكن عنده منك ومن اطفالك خبر
واول من دعي باميرالمؤمنين عمر بن الخطاب فان ابابكر رضي الله
عنه دعوه بخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وصل الامر
الى عمر كانوا يقولون يا خليفة خليفة رسول الله فكان يطول ذلك
فقال يا أيها المؤمنون سموني اميرا فاني اميركم وان دعوتموني
اميرالمؤمنين فاني ذلك ابن الخطاب

(حكاية)

سئل خازن بيت المال هل انبسط عمر في بيت المال فقال كان

في اوّل الامر اذا لم يكن له شئ يتقوت به اخذ قليلا برسم القوت فاذا حصل عنده شئ له اعاده الى بيت المال وخطب يوما فقال ايها الناس قد كان الوحي ينزل علينا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنا نعرف به ظاهر الناس وباطنهم وجيدهم ورديئهم والآن قد انقطع الوحي عنا فنحن ننظر من كل احد الى علانيته والله اعلم بسريرته وانا على الجهد ومما لي لا نأخذ شيأ بغير حق ولا نعطي شيأ بغير حق فان شئت أن تعلم أن عدل السلطان وتقيته سبب لجميل ذكره ونبيل فخره فانظر في اخبار عمر بن عبد العزيز فانه لم يكن لاحد من بني امية وبني مروان مثل مدحه ومحمدته ولا يدعى لاحد من بني امية وبني مروان سواه ولا يثني الا عليه لانه كان عادلا تقيا كريما حسن السيرة نقي السريرة

(حكاية)

كان في عهد عمر بن عبد العزيز قحط عظيم فوفد عليه وفد من العرب واختار وا رجلا منهم لخطابه فقال ذلك الرجل يا امير المؤمنين انا اتيناك من ضرورة عظيمة وقد يبست جلودنا على اجسادنا لفقد الطعام وراحتنا في بيت المال وهذا المال لا يخلو من ثلاثة اقسام اما ان يكون لله او لعباد الله او لك فان كان لله فان الله غني عنه وان كان لعباد الله فآتهم اياه وان كان لك فتصدق به علينا ان الله يجزي المتصدقين فتغرغرت عينا عمر بن عبد العزيز بالدموع وقال هو كما ذكرت وامران تقضى حوائجهم من بيت المال فهم الاعرابي بالخروج فقال له عمر ايها الانسان الحر كما اوصلت حوائج عباد الله الى واسمعتني كلامهم فاوصل كلامي وارفع حاجتي الى الله فحول الاعرابي رأسه ووجهه قبل السماء وقال الهي بعزتك وجلالك اصنع مع عمر بن عبد العزيز كصنيعه في عبادك فما استتم كلامه حتى ارتفع غيم فامطر

مطرا

مطرا غزيرا وجاء فى المطر بردة كبيرة فوقعت على آجرة فانكسرت فخرج منها كاغد عليه مكتوب هذه براءة من الله العزيز لعمر بن عبد العزيز من النار ويقال ان عمر بن عبد العزيز كان ينظر ليلا فى قصص الرعية ونار يحاقهم فى ضوء السراج فجاء غلام له فحدثه فى معنى سبب كان يتعلق ببيته فقال له عمر اطف السراج ثم حدثنى لان هذا الدهن من بيت مال المسلمين ولا يجوز استعماله الا فى اشغال المسلمين هكذا يكون حذر السلطان وتقواه وتوقيه اذا كان عادلا كما جاء فى الحكاية

(حكاية)

كان لعمر بن عبد العزيز غلام وكان خازنا لبيت المال وكان لعمر ثلاث بنات فجئنه يوم عرفة وقلن له غدا العيد ونساء الرعية وبناتهم يلمننا ويقلن انتن بنات امير المؤمنين ونراكن عريانات لا اقل من ثياب بيضاء تلبسنها وبكين عنده فضاق صدر عمر فدعا غلامه الخازن وقال له اعطنى مشاهرى لشهر واحد فقال الخازن يا أمير المؤمنين تأخذ المشاهرة من بيت المال سلفا انظر ان كان لك عمر شهر فخذ مشاهرة شهر فتحير عمر وقال نعم ما قلت ايها الغلام بارك الله فيك ثم قال لبناتها كظمن شهواتكن فان الجنة لا يدخلها احد بغير مشقة لما كان الامراء كذلك كان حواشيهم وخدمهم على قاعدتهم والعدل التام هو ان يساوى بين المجهول الذى لا يعرف وبين المحتشم صاحب الجاه المعروف فى مقام واحد فى الدعاوى وينظر اليهما بعين واحدة فى الدعاوى ولا يفضل احدهما على الآخر لا بل ان احدهما غنى والآخر فقير فان الجوهر والخزف فى الآخرة بسعر واحد ولا يحرق عاقل نفسه بالنار لحشمة الاغيار واذا كان لرجل ضعيف على سلطان من السلاطين دعوى فينبغى ان يقوم من صدر مملكته ويعمل بحكم الله تعالى

فينصف ذلك الضعيف ويرضيه ولا يخاف ولا يستحي من الحق
ويعمل بقول الله عز وجل ان الله يأمر بالعدل والاحسان وحقيقة
ذلك ان كان للملك على احد حق ان يسامحه ويمن عليه ويأمر
عماله الثقات ان يقتدوا بمثاله ويعملوا بسيرته لئلا يسأل عن
رعيته يوم القيامة فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
كل راع يسأل عن غنمه وكل سلطان يسأل عن رعيته والحال
على هذه الصفة لتعلم ذلك

(حكاية)

يقال ان اسماعيل بن احمد امير خراسان نزل بمرو وكان رسمه في
كل موضع ينزله ان يأمر المنادي ان ينادي في العسكر ان الجند
مالهم مع الرعية شغل فمضى رجل من الخرنبشية في جملة اصحابه
فدخل مبطخة وتناول من البطيخ قدر ادسير فجاءوا الى باب الملك
واستغاثوا فأمر الامير باحضاره فاحضر بين يديه فقال له لك
علينا اجرة ام لا قال بلى قال فما سمعت المنادي فقال قد سمعته قال
فلاي سبب آذيت رعيتي فقال اخطأت فقال انا لا اقدر لاجل
خطئك على دخولي النار وامر به فقطعت يده

(حكاية)

ويحكى عن اسماعيل الساماني في كتاب سير الملوك انه كان ينزل
بجواموليان وكان كل وقت يصل الى مدينة كندر يأمر المنادي
ان ينادي وقت العصر في الناس وكان يرفع الحجاب ويبعد
الحجاب ويريح البواب ليجيء كل من له ظلامة ويقف على
جانب البساط ويخاطبه ويعود مقضي الحاجة وكان يقضي بين
الخصوم مثل الحكام الى ان يفنى الدعاوى ثم يقوم من موضعه
ويقبض على محاسنه بيده ويوجه وجهه نحو السماء ويقول الهي

هـذا جهدی وطـاقتی قد بذلته وانت عالم الاسرار تعلم علانیتی ولا اعلم علی ای عبد من عبیدك اجنفت ا ولای عبد ظلمت وما انصفت انا واحد من اصحابی فاغفر لی یا الهی من ذلك مالا اعلم فلما كان تقی النیة جمیل الطویة لا جرم عـلا امره وار تفع قدره وكان عسكره الف فارس معتدین بالسـلاح مقنعین بالحدید وببركة ذلك العدل والانصـاف ظفره الله بعمـرو بن لیث انفذ الیـه من السجن وقال لی بخراسان اموال كثیرة وكنوز وفورة وانا اسلمها الیك فاطلقنی من السجن فلمـا سمع اسمـاعیـل ذلك ضحك وقال الی الآن لم یستقم معی عمـرو ابن لیث یرید ان یجعل المظـالم التی احتقبها والمـآثم التی ارتكبها فی عنقی ویخلص من ثقل أوزارها فی الآخرة قولوا له مالی فی مالك حاجة وأخرجه من السجن وانفذه الی بغـداد فنـال من امیر المؤمنـین الخلع والتشریف وجلس اسمـاعیل فی مملـكة خراسان آمن البال حسـن الحال وبقیت المملكة فی عصر السـاسـانیة مائة وثلاثین سـنة فلما انتقل الامر الی اصـاغرهـم وصبیانهم ظلموا الخلق وتعدوا الحق فزال ملكهم قال رسول الله صـلی الله علیه وسلم عدل السلطـان یوما واحدا خیر من عبادة سـبعین سـنة وقال صـلی الله علیه وسـلم نصفة المظلوم زكاة العقل قال صلی الله علیه وسلم من سل سـیف الجور سل علیه سیف الغلبة ولازمه الغم كما قال الشاعر

تقطب منك طلق الوجه یوما * تری بالعدل من جور جزاء
فقل للناس ما تهوی استماعا * ولا تقل ان اخترت البقاء

جاء فی الخبر ان داود علیه السـلام كان ینظر یوما الی السمـاء فرای شـیأ مثل النخالة ینزل من الهواء فقال الهی ما هذا فاوحی الله الیه هذه لعنتی انزلها علی بیوت الجبارین الجائرین

(حكایة)

لما قعد انوشروان فى المملكة كتب اليه يونان الوزير فقال اعلم ايها الملك ان امور الملك على ثلاثة اشياء: اما ان ينصف رعيته ولا ينتصف منهم فذلك فضل وهذه الدرجة العليا او ينصف وينتصف وهذه الدرجة الوسطى او لا ينصف ولا ينتصف وهذه درجة الجور السفلى فانظر ايها الملك الى هذه الثلاثة واختر ايها شئت وانا اعلم ان الملك يختار الاولى كما قال الشاعر

من انصف الناس ولم ينتصف * بفضله منهم فذاك الامير
ومن يرد انصافهم مثل ما * انصف اضحى ماله من نظير
ومن يرد انصافهم وهولا * ينصفهم فهو الدنى الحقير

(نصيحة وموعظة)

دخل شبيب بن شبة يوما على المهدى فقال له يا امير المؤمنين ان الله تعالى قد اعطاك الدنيا فاعط رعيتك قسطا من طيب عيشك فقال المهدى وما الذى ينبغى ان تعطى الرعية فقال العدل فانه اذا نامت الرعية فى امن منك نمت آمنا فى قبرك وقال احذر يا امير المؤمنين من ليلة لا يوم بعدها ومن يوم لا ليلة بعده واعدل ما استطعت فانك تجازى بالعدل عدلا وبالجور جورا وزين نفسك بالتقوى فان فى الحشر لا يعيرك احد زينة كقول الشاعر

فجمل نفسك بالحسنى و زينتها * فلن تعار تقى فى الحشر من رجل
وليس تبلى يد المعروف فاحظ بها * تربح كثيرا ورأس المال لم يزل

(وصل كتاب من قيصر ملك الروم الى انوشروان) يقول بماذا يكون دوام المملكة فكتب اليه جواب ذلك انى لا ارسم شيأ بجهالة واذا امرت بامر اتممته ولا اتركه بخوف ولا لرجاء يريد اننى اذا امرت بشئ لا أبطله لاجل من رجانى أو خافنى وانى لا اغير شيأ أمرت به

(سئل ارسطاطاليس) هل يجوز ان يدعى احد ملكا غير الله تعالى

فقال من وجدت فيه هذه الخصال وان كانت عادية العلم والعدل والسخاوالحلم والرأفة وماناسبها الان الملوك كانواملوكا بالظل الالهى وضياء الحسن بطهارة النفس وتزايد العقل والعلم وقدم الدولة وشرف الاصل وللدولة التى كانت فى محتدهم واصولهم فبذلك كانواملوكا وسلاطينا ومعنى قولهم فرانرذى وهو الظل الالهى يظهر فى ستة عشر شيأ العقل والعلم وحدة الذكاء وادراك الاشياء والصور التامة والالمعية والفروسية والشجاعة والاقدام والتأنى وحسن الخلق وانصاف الضعيف ومحبة الرعية واظهار الزعامة والاحتمال والمداراة فى مكانها والرأى والتدبير فى الامور والاكثار من قراءة الاخبار وحفظ سير الملوك والفحص عن الاحوال والاعمال التى اعتمدها الملوك وعملوا بها الان هذه الدنيا بقية دول المتقدمين الذين تملكوها ثم مضوا وانقرضوا وصار واتذكارا للناس يذكر كل انسان منهم بفعله للدنيا كنز وللآخرة كنز فكنز هذه الدنيا الثناء وطيب الذكر وكنز الآخرة العمل الصالح واكتساب الاجر

(حكمة)

سأل الاسكندر ارسطاطاليس ايهما افضل للملوك الشجاعة ام العدل فقال ارسطاطاليس اذا عدل السلطان لم يحتج الى الشجاعة

(حكمة)

كان الاسكندر بعض الايام قد ركب فى جماعة اهل موكبه فقال له رجل من مقدمى عساكره ان الله تعالى قد اعطاك ملكا عظيما فاستكثر من النساء ليكثر اولادك فتذكر بهم بعد موتك فقال الاسكندر ليس ذكر الرجال بعدهم بكثرة الاولاد ولكن

بحسن السيرة وعدل السنة ورجل غلب رجال الدنيا الا يجوز ان تغلبه النساء

(حكاية)

عزل الاسكندر غلاما من عماله عن عمل كبير خطير وولاه امر عمل آخر حقير فاتى ذلك الرجل بعض الايام الى الدركات فقال له الاسكندر كيف تجد عملك فقال اطال الله بقاء الملك الرجال لا تشرف بالاعمال بل الاعمال تشرف بالرجال وذلك بحسن السيرة والانصاف وافاضة العدل وتجنب الاسراف فاستحسن الاسكندر مقاله وأعاده الى اعماله

(حكمة)

قال سقراط العالم مركب من العدل فاذا جاء الجور لا يثبت ولا يستقر

(حكمة)

وسئل بزرجمهر فقال باى شئ يظهر عز الملك فقال بثلاثة اشياء حفظ الاطراف مع دفع العدو عن الحوزة واكرام العلماء واعزازهم وحب اهل الفضل لانه كلما جار السلطان خاف اهل الاطراف وان كانت نعمهم كثيرة فانها مع الخوف لا تتساغ واذا كانت النعم قليلة ساغت مع الامن كما جاء فى الحكاية

(حكاية)

يقال انه انقطع رجل من قافلة الحاج وغلط الطريق ووقع فى الرمل فجعل يسير الى ان وصل الى خيمة فرأى فى الخيمة امرأة عجوزا وعلى باب الخيمة كلبا نائما فسلم الحاجى على العجوز وطلب منها طعاما فقالت العجوز امض الى ذلك الوادى واصطد من الحيات بقدر كفايتك لاشوى لك منها واطعمك فقال الرجل انا

لا أجسر اصطاد الحيات فقالت العجوز انا اصطاد معك فلا تخف فمضينا وتبعها الكلب فاخذوا من الحيات بقدر حاجتهم فاتت العجوز وجعلت تشوى الحيات فلم ير الحاجى بدا من الاكل وخاف ان يموت من الجوع والهزال فاكل ثم انه عطش فطلب منها الماء فقالت دونك والعين فاشرب فمضى الى العين فوجد ماء مرا فما لم يجد من شربه بدا فشرب وعاد الى العجوز وقال اعجب منك ايتها العجوز ومن مقامك فى هذا المكان واغتذائك بهذا الطعام فقالت العجوز كيف تكون بلادكم فقال يكون فى بلادنا الدور الرحبة الواسعة والفواكه اليانعة والمياه العذبه والاطعمة الطيبة واللحوم السمينة والنعم الكثيرة والعيون الغزيرة فقالت العجوز وقد سمعت هذا كله فقل لى هل تكونون تحت يدى سلطان يجور عليكم واذا كان لكم ذنب اخذ اموالكم واستاصل احوالكم واخرجكم من بيوتكم واملاككم فقال قد يكون ذلك فقالت اذا يعود ذلك الطعام اللطيف والعيش الظريف والحلوى العجيبة مع الجور والظلم سما ناقعا وتعود اطعمتنا مع الامن درياقا نافعا اما سمعت ان اجل النعم بعد نعمة الاسلام الصحة والامن فالامن يكون من سياسة السلطان فيجب على السلطان ان يعمل بالسياسة وان يكون مع السياسة لان السلطان خليفة الله ان تكون هيبته بحيث اذا راته الرعية خافوا ولو كان بعيدا وسلطان هذا الزمان يجب ان تكون له اوفى سياسة واتم هيبة لان الناس هذا الزمان ليسوا كالمتقدمين فان زماننا هذا زمان ذوى الوقاحة والسفهاء واهل القساوة والشحنا واذا كان السلطان والعياذ بالله بينهم ضعيفا وكان غير ذى سياسة فلا شك ان ذلك يكون سبب خراب البلاد وان الخلل يعود على الدين والدنيا وفى الامثال جور السلطان مائة سنة ولا جور الرعية بعضهم على بعض سنة واحدة

واذا جارت الرعية سلط الله عليهم سلطانا جائرا وملكا قاهرا كما جاء فى الحكاية

(حكاية)

اعطى الحجاج بن يوسف يوما قصة فيها مكتوب اتق الله ولا تجر على الناس كل هذا الجور فرقى الحجاج المنبر وكان فصيحا فقال ايها الناس ان الله سلطنى عليكم باعمالكم فان انا مت لا تخلصون انتم من الجور مع هذه الاعمال السيئة فان لله تعالى امثالا كثيرة واذا لم اكن انا كان من هو اكثر منى شرا شعر

ومامن يد الايد الله فوقها * ولا ظالم الا سيبلى بظالم

(وسئل بذرجمهر) اى الملوك افضل واطهر فقال من امنه الطاهرون وخاف منه الخاطئون واما السلطان الذى لا سياسة له فليس له فى اعين الناس والرعية خطر ويكون الخلق عليه ساخطين ويذكرونه كل وقت بالقبيح الا ترى ان الانسان اذا كان من عوام الولاية وتولى عليها واراد ان يطلب الحساب من الرعية اول ما يكلمهم بالهيبة ويظهر لهم جاهه بالسياسة لعلمه ان الرعية ينظرونه بالعين الاولى وفى هذا الباب حكاية عجيبة

(حكاية)

كان لابى سفيان بن حرب ولد وكان يدعى بزياد بن ابيه لانه كان قد ولد فى الجاهلية ونفاه وتبرأ منه ابو سفيان وقال ما هو لى بولد فلما وصل الامر الى معاوية قربه اليه وادناه وولاه ولاية العراق فلما وصل زياد الى عمل العراق وجد اهل العراق يوما غائبين يفسدون ويسرقون فقصد زياد المسجد الجامع ورقى المنبر وخطب خطبة ثم قال بعد خطبته والله لئن خرج احد بعد

العشاء الآخرة من منزله لآخذن رأسه فليعلم الشاهد الغايب ثم
امر مناديا ينادى بذلك ثلاثة أيام فلما أقبلت الليلة الرابعة خرج
زياد وقد مضى من الليل ثلثه فركب وجعل يطوف محال
البلد فرأى رجلا اعرابيا ومعه غنم له وهو قائم فسأله زياد ما تصنع
ههنا فقال الاعرابى أتيت مساء ولم اجد موضعا استقر فيه فنزلت
مكانى الى ان اصبح وابيع غنمى فقال له زياد انا اعلم انك صادق
وان اطلقتك خفت أن يذيع الخبر عنى ان زيادا يقول ولا يفعل
فتفسد سياستى وتنكسر همتى والجنة خير لك من ههنا وضرب
عنقه ثم جعل يسير فكل من لقيه ضرب عنقه وحز رأسه فلما أصبح
من الغد كان قد أخذ الفا وخمسمائة رجل وجعلها على باب داره
مثل البيدر فتهوله الناس وجزعوا المارأوا من فعله فلما كان الليل
خرج وطاف فلقى ثلثمائة رجل أخذ رؤسهم فلم يقدر بعد ذلك أحد
ان يخرج من منزله بعد العشاء الآخرة فلما كان يوم الجمعة رقى المنبر
وقال لا يغلقن أحد منكم منزله بالليل ولا باب دكانه ومهما
سرق منكم كانت غرامته على فلم يجسر أحد ان يغلق فى تلك
الليلة دكانه فلما كان من الغد أتاه رجل صيرفى وقال له قد سرق
منى البارحة اربعمائة دينار فقال له اكتم هذا الامر ولا تشعرن به
احدا فلما كان الجمعة الثانية واجتمع الناس للصلاة صعد زياد المنبر
وقال اعلموا انه قد سرق من دكان فلان الصيرفى اربعمائة دينار عينا
وانتم كلكم حاضرون فان رددتم ذلك فقد دعاد الى الرجل ماله وان لم
تردوه فقد تقدمت ان لا يخرج احد منكم من الجامع وآمر بقتلكم
فى هذه الساعة ففى الحال الزموا من كانوا يتهمونه بالسرقة وقدموه
بين يديه فرد الذهب الذى سرقه فامر بصلبه فى الحال ثم انه سأل
اى محلة بالبصرة ليس فيها امن فقالوا محلة بنى الازد فامر ان ينزل
فيها بالليل ثوب ديباج له قيمة ثقيلة بحيث لا يراه احد فبقى اياما ملقى

بحاله ولم تكن لاحد مرارة ان يقربه ولا يقله من مكانه فقال له
اقاربه بعد ذلك ان السياسة خير الاشياء الا انك لم ترحم المسلمين
أولا وأهلكت خلقا كثيرا عظيما فقال قد اخذت الحجة عليهم
قبل ذلك بثلاثة ايام ومن شؤم اعمالهم لم ينتهوا والذى اصابهم من
شؤم أخلاقهم

(فصل)

ولا ينبغى للسلطان ان يشتغل دائما بلعب الشطرنج والنرد وشرب
الخمر وضرب الكرة والصيد لان هذه تمنعه وتشغله عن الاشغال
ولكل عمل وقت فاذا فات الوقت عاد الربح خسرانا والسرور احزانا
فان الملوك القدماء قسموا النهار اربعة اقسام منها قسم لعبادة الله
وطاعته وقسم للنظر فى امور السلطنة وانصاف المظلومين
والجلوس مع العلماء والعقلاء لتدبير الامور وسياسة الجمهور
وتنفيذ المراسم والاوامر والكتابة وانفاذ الرسل وقسم للاكل
والنوم والتزود من الدنيا واخذ الحظوظ من الفرح والسرور وقسم
للصيد ولعب الكرة والصولجان وما اشبه ذلك ويقال ان بهرام كور
قسم نهاره قسمين وجعله نصفين ففى الاول كان يقضى اشغال
الناس وفى الثانى كان يطلب الراحة ويقال انه فى جميع أيامه
ما اشتغل يوما تاما بعمل واحد وكان انوشروان العادل يأمر أصحابه
أن يصعدوا الى اعلى مكان فى البلد لينظروا الى بيوت الناس فكل
بيت لا يخرج منه دخان نزلوا وسألوا عن احوال اولئك القوم وما
خطبهم فان كانوا فى غم اعلموا انوشروان فكان يحل غمومهم ويزيل
همومهم ويجب على السلطان ان لا يرضى لغلمانه ان يتناولوا
شيئا من الرعية بغير حق كما جاء فى الحكاية

(حكاية)

وقال انه كان قد ولى انوشروان العادل غلاما فأنفذ اليه العامل زيادة ثلاثة الف درهم فامر انوشروان باعادة الزيادة على اصحابها وامر بصلب العامل وكل سلطان اخذ من رعيته شيأ بالجور والغصب وخزنه فى خزانته كان مثله كمثل رجل عمل اساس حائط ولم يصبر عليه حتى يجف فوضع البنيان عليه وهو رطب فلم يبق الاساس ولا الحائط وينبغى للسلطان أن يهتم باموره الدنيا كما يهتم باخذ ما يأخذه من الرعية بقدر وان يهب ما يهب بقدر لان لكل واحد من هذين الامرين حدا وقدرا كما جاء فى فى الحكاية

(حكاية)

يقال ان المأمون ولى يوما اربعة نفر اربع ولايات فاعطى احدهم منشورا بخراسان واعطاه خلعة بثلاثة آلاف دينار واعطى الآخر منشورا بخورستان واعطاه خلعة بثلاثة آلاف دينار وولى الآخر وهو الثالث ولاية مصر وخلع عليه خلعة بثلاثة آلاف دينار وولى الرابع ولاية وخلع عليه خلعة بثلاثة آلاف دينار ثم استدعى موبذ موبذان وقال له يا دهقان هل اعطى ملوك العجم فى أيام ملكهم لاحد مثل هذه الخلع فانه بلغنى ان خلعهم ما كانت تبلغ اكثر من اربعة آلاف درهم فقال الموبذ اطال الله بقاء امير المؤمنين كان للملوك العجم ثلاثة اشياء ليت لكم احدها انهم كانوا يأخذون ما يأخذون من الناس ويعطون ما يعطونه بقدر الثانى انهم كانوا يأخذون من موضع يجوز منه الاخذ ويعطون لمن ينبغى ان يعطى الثالث انهم ما كان يخافهم الا المذنب فقال له المأمون صدقت ولم يرد عليه جوابا ولاجل هذا فتح المأمون باب تربة كسرى وكشف تابوته وفتشه ونظر سحنة وجهه وهى بحالها ما بليت والثياب عليه بجدتها ما تمزقت

ولا خلقت والخاتم فى اصبعه فصه من ياقوت احمر كثير الثمن ما رأى المأمون قبله فصا مثله وكان على فصه مكتوب به مه نه مه به معنى ذلك الاجود اكبر ليس الا كبر اجود فامر المامون ان يغطى بثوب نسيج من الذهب وكان مع المأمون غلام خادم فاخذ الخاتم من اصبع كسرى ولم يشعر به المأمون فلما علم به أمر باهلاكه واعاد الخاتم الى اصبع انوشروان وقال كاد يفضحنى بحيث يقال عنى الى يوم القيامة ان المامون كان نباشا وانه فتح قبر كسرى واخذ خاتمه من اصبعه

(حكاية)

سأل الاسكندر يوما جماعة من حكمائه وكان قد عزم على سفر وقال اوضحوا الى سبيلا من الحكمة احكم فيه اعمالى واتقن به اشغالى فقال كبير الحكماء أيها الملك لا تدخل قلبك محبة شئ ولا بغضته لان القلب خاصيته كاسمه وانما سمى قلبا لتقلبه واعمل الفكر واتخذه وزيرا واجعل العقل صاحبا ومشيرا واجتهد ان تكون فى ليلك متيقظا ولا تسرع فى أمر بغير مشورة وتجنب الميل والمحاباة فى وقت العدل والانصاف فاذا فعلت ذلك جرت الامور على ايثارك وتصرفت باختيارك وينبغى ان يكون الملك حليما وقورا وان لا يكون طايشا مجولا قالت الحكماء ثلاثة اشياء قبيحة وهى فى ثلاث اقبح الحدة فى الملوك والحرص فى العلماء والبخل فى الاغنياء

(حكمة)

كتب الوزير يونان الى الملك العادل كسرى وصايا ومواعظ فقال منها ينبغى يا ملك الدنيا ان يكون معك اربعة اشياء دائما العدل والعقل والصبر والحياء وينبغى ان تنفى عنك أربعة اشياء الحسد والكبر وضيق القلب يريد به البخل والعداوة وقال اعلم يا ملك

الدنيا ان الملوك الذين كانوا قبلك من الملوك مضوا والذين يأتون
بعدك لم يصلوا فاجتهد أن تكون جميع ملوك الزمان ورعاياهم
محبيك ومشتاقين اليك

(حكاية)

يقال ان انوشروان ركب فى بعض الايام فى الربيع على سبيل
الفرجة فجعل يسير فى الرياض المخضرة ويشاهد الشجرة المثمرة
و ينظر الى الكروم ألف مرة فنزل عن فرسه شكرا لربه وخر
ساجدا واضعا خدّه على التراب زمانا طويلا فلما رفع رأسه قال
لاصحابه انّ خصب السنين من عدل الملوك والسلاطين وحسن
نيتهم واحسانهم الى رعيتهم فالمنة لله الذى قد أظهر حسن نيتنا
فى سائر الاشياء وانما قال ذلك لانه جرّبه فى بعض الاوقات

(حكاية)

يقال ان شروان العادل مضى يوما الى الصيد فانفرد من عسكره
خلف صيد فرأى ضيعة بالقرب منه وكان قد عطش فقصد الضيعة
واتى باب دار قوم وطلب ماء ليشرب فخرجت صبية ابصرته
وعادت الى البيت فدقت قصبة واحدة من قصب السكر
ومزجت ما عصرته منها بالماء ووضعته فى قدح وسلمت القدح الى
انوشروان فنظر فى القدح فرأى فيه ترابا وقذى فشرب منه
قليلا قليلا حتى انتهى الى آخره وقال للصبية شاد باش نعم الماء كان
لولا ذلك القذى الذى كدّره فقالت الصبية يسر منك انا عمدا
ألقيت فيه القذى قال انوشروان ولم فعلت ذلك قالت رأيتك
شديد العطش فلو لم يكن فى الماء قذى كنت شربته عجلا نوبة
واحدة وكان يضرك شربه نهلة واحدة فتعجب انوشروان من
كلامها وعلم انها ما قالت ذلك الا عن ذكاء وفطنة فقال لها من كم

قصبة عصرت ذلك الماء فتمالت من قصبة واحدة فتعجب وطلب
جريدة خراج تلك الناحية فرأى خراجها قليلا فتفكر فى نفسه
وقال قرية يكون فى قصبة واحدة منها هذا السكر ويكون هذا
الخراج خراجها فجعل فى نفسه انه اذا عاد أمر بان يزاد خراجها
عليهم ثم انه عاد الى تلك الناحية بعد وقت واجتاز على ذلك الباب
منفردا وطلب ماء فخرجت الصبية بعينها فرأته فعرفته فعادت
لتخرج له الماء فابطأت عليه فاستعجلها انوشروان وقال لاى شئ
أبطأت فقالت الصبية لانه لم يخرج من قصبة واحدة قدر حاجتك
وقد دققت اليوم ثلاث قصبات وما خرج منها مثل ما كان يخرج
من قصبة واحدة فقال انوشروان ما سبب هذا العجز فقالت سببه
تغير نية السلطان فقد سمعنا انه اذا تغيرت نية السلطان على قوم
زالت بركاتهم وقلت خيراتهم فضحك انوشروان وازال عن نفسه
ما كان قد اضمره لهم وتزوج تلك الصبية حلالا لتعجبه من
ذكائها

(حكمة)

يقال ان الصادقين من الناس ثلاثة الانبياء والملوك والمجانين
وقيل ان السكر جور لان المجنون سكره باطن والسكران جنونه
ظاهر والويل لمن يبقى فى سكر الغفلة دائما كما قال الشاعر

من اسكرته الخمر فى سرعة * فما ليه ان صحا من خجل
ومن يكن بالملك ذا سكرة * يصح اذا ما الملك عنه انتقل

والمقبل جدا من كان من سكر سلطنته صاحيا وكان
المعتمد على اعماله ثقة أمينا وكان جليسه نصوحا
معينا وعلامة سكر السلطان أن يسلم وزارته الى محتاج معوز ثم
يستديمه ويتمسك به الى أن تزول حاجته وتنقضى فاقته ثم يعزله
وينصب غيره فيكون مثاله مثال من يربى طفلا صغيرا الى أن

يصير بالغا كبيرا يصلح للاعمال وقضاء الحوائج والاشغال ثم يقتله ويستأصله وقيل ان اربعة اشياء على الملوك من الفرائض وهي ابعاد الادنيا عن ممالكهم وعمارة المملكة بتقريب العقلاء وحفظ آراء المشايخ واولى الحكمة والتجربة والزيادة في امر المملكة بالاقلال من الاعمال المذمومة لما تولى الامر عمر بن عبد العزيز كتب الى الحسن البصري ان اعنى باصحابك فكتب اليه الحسن اما طالب الدنيا فلا ينصح لك واما طالب الآخرة فلا يرغب فيك ولا يجوز للسلطان ان يسلم وزارته ولا عملا من اعماله الى من ليس لذلك باهل فان سلم الاعمال الى ذلك الرجل فقد افسد ملكه واهمل امره واخرب مملكته وظهر له الخلل الوافر من كل وجه وكل جانب كما قال الشاعر

البيت لما حان منه خرابه * ظهر التخلل من اساس الحائط
واذا تولى الملك عن اربابه * ولوا الامور لكل قدم ساقط

ينبغي لمن خدم الملوك ان يكون كما قال الشاعر

اذا خدمت الملوك فالبس * من التوقي اعز ملبس
وادخل اذا ما دخلت اعمى * واخرج اذا ما خرجت أخرس

ومن انبسط على السلطان فقد ظلم نفسه ولو كان ولد السلطان وليس ينبغي الانبساط عليهم في خدمتهم كقول الشاعر

واتك للسلطان نجل فداره * وخذ منه ان احببت راسك سالما

ومثل الذي ينبسط مع السلطان كمثل الحوّا الذي يكون دائما مع الحيات يأكل ويقوم معها وينام معها او كرجل في البحر بين التماسيح التي تبلع الآدميين فلا يزال بروحه مخاطرا

(حكمة)

قال الحكيم ويل لمن ابتلى بصحبة السلاطين فانهم ليس لهم صديق ولا قرابة ولا ولد ولا خادم ولا احترام لاحد ولا يحابون احدا الا من

كانوا محتاجين اليه لعلمه او لشجاعته فاذا اخذوا حاجتهم منه
لم يبق له عندهم مودة ولم يبق له معهم وفاء ولا حياء واكثر
اشغالهم ويستصغرون كبار ذنوبهم ويستفظعون صغار ذنوب
غيرهم ويستحقرون فى العقاب ضرب الرقاب ويستعظمون فى
العتاب ردّ الجواب قال سفيان لا تصحب السلطان واياك وخدمته
لانك ان كنت له مطيعا اتعبك وان خالفته قتلك واعطبك ولا
ينبغى لاحد ان يدخل على الملوك اذا لم يكن لهم جوار كما جاء فى
الحكاية

(حكاية)

يقال ان يزدجرد بن شهريار دخل يوما على والده فى وقت لم يكن
لاحد اذن فى الدخول فقال شهريار امض واضرب الحاجب
الفلانى ثلاثين خشبة واطرده عن الدركات واقم موضعه فلان الحر
وكان عمر يزدجرد ثلاثة عشر سنة حينئذ ففعل ذلك الحاجب الحر لم
ابعد الاول عن الباب فعاد بعض الايام يزدجرد واراد ان يدخل
على والده فجعل ذلك الحاجب يده على صدره وردّه على عقبه
وقال له ان عدت رايتك بعد هاهنا اضربك ستين سوطا
ثلاثين لاجل المعزول وثلاثين لئلا تعود تدخل على الملوك فى غير
وقت الاذن وان كنت ولده لئلا تجلب لى الضرب والهوان واصلح
الاشياء للملك ان لا يباشر الحرب بنفسه ويحفظ ناموسه لان كثيرا
من الارواح يتعلق بروحه وصلاح الرعية فى حياته وكذلك ينبغى
ان لا يجور على نفسه لئلا يجور على جميع الخلق ولا يجوز للملك
ان يجازف فى الاشغال ولا يتساهل فى الاعمال ويجب ان ينيم كل
ليلة على فراشه غيره ويتحوّل بنفسه الى غير ذلك المكان حتى
ان قصد عدوّله اتلاف نفسه وجد غيره فى مكانه فلا يصل عدوّه
اليه كما جاء فى الحكاية

(حكاية)

يقال انه انهزم خسرو برمن بهرام جوبين وقال هربت وان كان الهرب عيبا الاخلص بهربي أرواح جماعة من أصحابي لانى ان هلكت هلك بسببى الوف من الخلائق والمقصود من هذا المقال ان زماننا غير موافق وان الناس فيه بين قبيح الفعل وغافل والملوك مشغولون بالدنيا ومحبة المال ولا يجوز الاحتمال والتغافل عن أراس السوء ففي امثال العرب العبد يقرع بالعصي * والحر تكفيه الاشارة * وهذا المثل يضرب فيمن له أصل وفيمن لا أصل له وقد كان للناس وقت وزمان يؤمن فيه رجل واحد جميع أهل الدنيا ويسخرهم بدرة كان يحملها على عاتقه وهو عمر بن الخطاب رضى الله عنه والفضل فى ذلك الوقت كان للزمان والرعية فاليوم لو عوملت هذه الرعية بتلك المعاملة لم يحتملوا وبدا منهم الفساد لكن ينبغى ان يكون السلطان هذا الوقت أتم سياسة وهيبة ليشتغل كل انسان بشغله ويأمن الناس بعضهم من بعض ونحن الآن نورد خبرا فى هذا الباب ليستفيد به القارى والسامع خبر أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه فقيل له لاى شئ لا تنفع الموعظة هؤلاء الناس فقال الخبر معروف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اوصى عند وفاته اشار بثلاث اصابعه وقبض بطرف لسانه ولا تسئلونى عن اولئك فقال الصحابة ان ذلك اشارة الى ثلاثة اشهر وقال قوم ثلاث سنين وقال قوم ثلاثين سنة وقال قوم ثلثمائة سنة فلا تسألونى عن حال تلك الرجال فاذا قال النبى صلى الله عليه وسلم لا تسألونى عن اولئك فكيف تنفع الموعظة فيهم وسئل عن مثل هذا السؤال فقال كان الناس فى ذلك الزمان نياما وكان العلماء ايقاظا واليوم العلماء نيام والخلق موتى فاى نفع لكلام النائم عند الميت اما

زماننا هـذا فهو الزمان الذى قد هلك فيـه الخلائق جميعهم وقد خبثت اعمال الناس و نياتهـم واذا لم تكن بينهم سياسة السلطان ولا هيبتـه لم يثبتوا على الطاعة والصلاح قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم العدل عز الدين وفيـه صلاح السلطان وقوة الخاص والعام وبه يكون خير الرعية وأمنهم وعافيتهم وكل الاعمال توزن بميزان العـدل قال الله تعالى والسماء رفعها ووضع الميزان يعنى به العـدل وقال فى موضع آخر الله الذى انزل الكتاب بالحق والميزان واحق الناس بالجاه والمملكة من كان قلبه مكانا للعدل وبيتـه مقر الذوى الدين والعـقل ورأيه خزانة ارباب العلم والفضل وصحبته مع العقلاء ومشورته مع اولى الآراء كما قال الشاعر

يده خزانة جوده * والقلب خازن فضله
قـد ونبت ابوابه * ابدا لطالب عـدله

قال الحسـن البصرى كل ملك عظم امر الدين كان عند رعيته عظـيم الامر ومن عرف الله تعرف للخلق به واختاروا أن يكونوا معارفه كما قال الشاعر

من عرف الله تعالى اسمه * آثر كل الخلـق عـرفانه
طوبى لمـن اول ما حازه * معرفته الخالق سبحانه

قال بزرجمـهر لا ينبغى للملك أن يكون فى حفظ مملـكته اقـل من البسـتانى فى حفظ بسـتانه فانه اذا زرع الريحـان ونبت بينـه الحشيش استعجل فى قلع الحشيش لئلا يضبط اماكن الريحان

(حكـمة)

قال افلاطون علامة السلطان المظفر عـلى اعدائه ان يكون قويا فى نفسه لازما لصحته مفكرا فى آرائه وتدبيره بقلبه وان يكون عاقلا فى مملكته شريفا بنفسـه حلوا فى قلوب رعيته رفيقا فى سائر اعماله مجربا بالعهد من تقدمه خبيرا باعمال من هو أقدم منه صلبا فى دينه

وكل

وكل ملك تجمعت فيه هذه الخصال كان في عين عدوه مهيبا لا يجد فيه العائب فيه معيبا واذا كان الملك يرى من حوله وقوته بالله جلت قدرته وان كان عدوه قويا فانه يظفر به وينصر عليه مثاله قوله تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين

(حكمة)

قال سقراط علامة الملك الذي يدوم ملكه ان يكون الدين والعقل حبيبين في قلبه ليكون في قلوب رعيته محبوبا وان يكون العقل قريبا منه ليكون عند العقلاء قريبا وان يكون طالبا للعلم ليتعلم من العلماء وان يكون فضله غزيرا وهيبته كبيرا ليعظم عند الفضلاء ويربي الادباء ليتفرج عندهم الادب وان يبعد عن مملكته متطلبي العيوب لتبعد عنه العيوب وكل ملك لم يكن له مثل هذه الخصال لا يفرح بمملكته ويتلف اقرباؤه وجلساؤه على يده لان القتل يظهر من عدم العقل وكل عيب نتيجة قلة العقل كما قال الشاعر

يقول الحكيم المقال الاسد * دع المزح اذ لست فيه اسد
تحفظ بنفسك مع مقلتيك * فعينك للملك تجني الحرد
وخف ان تنازعه ملكه * وفي حالة السخط عنه فعد
فيقتل عن سخطه لا لجرم * ضياعا وليس عليه قود
سمعت عن الخمران المليك * يسكر عنها قليل الاحد

سئل معاوية الاحنف بن قيس فقال يا ابا يحيى كيف الزمان قال الزمان أنت يا أمير المؤمنين ان صلحت صلح الزمان وان فسدت فسد وقال الاحنف بن قيس كما ان الدنيا عمرت بالعدل فكذلك تخرب بالجور لان العدل يضئ نوره وتلوح تباشيره عن مسيرة الف فرسخ والجور يتراكم ظلامه ويسود قتامه عن مسيرة الف

فرسخ وقال الفضيل ابن عياض لو كان دعاى مستجابا لم ادع لغير السلطان العادل صلاح البلاد وزينة العباد *(خبر) جاء في الخبر عن سيد البشر صلى الله عليه وسلم انه قال المقسطون لله في الدنيا على منابر اللؤلؤ يوم القيامة

(حكاية)

كان الاسكندر يوما على تخت مملكته وقد روع الحجاب فقدم بين يديه لص فأمر بصلبه فقال أيها الملك انى سرقت ولم يكن لى شهوة في السرقة ولم يطلبها قلبي فقال الاسكندر لا جرم تصلب ولا يطلب قلبك الصلب ولا يريده فواجب على السلطان ان يعدل وينظر غاية النظر فيما يأمر به من السياسة لينفذ ذلك أصحابه مثل وزيره وحاجبه وعامله ونائبه لان كثيرا من سياسة السلطان وعدله ونظره وحسن تأمله يغطى عليه بالباطيل ويفوت وقته وذلك من تهاون الملك وغفلته فينبغى ان يجتهد في تداركه ذلك كما جاء في الحكاية

*(حكاية)

كان للملك كشتاسب وزير اسمه راست روشن وبهذا الاسم كان يظن كشتاسب انه تقي صالح وما كان يستمع فيه مقال أحد يقدح فيه ولم يكن يخبر حاله فقال راست روشن لخليفة الملك ان الرعية قد بطرت من كثرة عدلنا فيهم وقلة تأديبنا لهم وقد قيل اذا عدل السلطان جارت الرعية والآن قد فاحت فيهم رائحة الفساد ويجب علينا ان نؤدبهم ونزجرهم ونبعد المتعدين ونخلى الفسقة المفسدين ونؤدب الصالحين ثم انه كان كل من لزمه الخليفة ليؤديه ارتشى منه راست روشن واطلقه الى ان ضعفت الرعية وضاقت بها الاحوال وخلت الخزاين من الاموال وظهر لكشتاسب عدو فاعتبر خزائنه فلم يجد فيها شيئا يصلح به امور عسكره فركب يوما

من شغل قلبه وسار فى البرية فرآى من بعد قطيع غنم فطلبه فرآى خيمة مضروبة والاغنام نيام ورآى كلبا مصلوبا فلما قرب من الخيمة خرج اليه شاب فسلم عليه وسأله النزول فنزل فاكرمه وقدم بين يديه ما أحضره كما وجب فقال له كشتاسب خبرنى عن حال هذا الكلب حتى آكل طعامك فقال له الشاب اعلم وتيقن ان الكلب كان امينا على اغنامى فصادق ذيبة ويقوم معها وينام عندها والذيبة كل يوم تأتى وتسرق من الغنم رأسا بعد رأس فجاء بعض الايام صاحب الموضع وطلب منى حق المرعى فقعدت اتفكر واحسب حساب الغنم وهى تنقص فى الحساب فرأيت ذيبا قد اخذ شاة والكلب ساكت بجانبه فعلمت انه كان سبب اتلاف الغنم وانه كان يخون امانته فلزمته وصلبته فاعتبر كشتاسب بذلك وجعل يفكر فى نفسه ويقول رعيتنا اغنامنا فيجب ان نسئل ايضا نحن عنها لنصل الى حقيقة امرها فعاد الى داره وجعل ينظر فى البرنامجات واذا هى جميعها شفاعات راست روشن فضرب مثلا وقال من اغتر بالاسم من ذوى الفساد بقى بغير زاد ومن خان فى الزاد عاد بغير روح وامر بصلب الوزير وهذه الحكاية مكتوبة فى كتاب يادكارنامه وفيها يقول الشاعر

وما انا بالمغتر باسمك انما ... تسميت كى تحتال فى طلب الرزق
ومن يجعل الاسماء فخا للرزقه ... يعد غير ذى روح على الجذع مستلقى

(حكاية)

يقال انه كان لعمرو بن ليث نسيب يعرف بابى جعفر بن زيدويه وكان عمرو به حفيا ومن جملة محبته له انه كان قد وصله من هراة مائة جمل حمرا وبرعلى كل جمل حمل من الحوائج فانفذ عمرو من كل حاجة حملا الى دار ابى جعفر وقال ليوسع عليه فى مطبخه فقيل يوما

لعمرو بن ليث ان ابا جعفر قد بطح غلاما له وضربه عشرين خشبة فأمر عمرو باحضاره وأمر ان يحضر بين يديه كل سيف فى خزانته وقال يا ابا جعفر اختر من هذه السيوف اجودها فاعزله ناحية عنها فجعل ابو جعفر يتخير ويبقى الى ان اعزل مائة سيف فقال اختر الآن منها سيفين فاختار ابو جعفر سيفين منها فقال ارسم أن يجعلا فى قراب واحد فقال ابو جعفر كيف يمكن ان يكون سيفان فى قراب واحد فقال عمرو بن ليث وكيف يمكن ان يكون اميران فى بلد واحد فعلم ابو جعفر انه قد اخطأ فقبل الارض والتمس العفو والاقالة فقال عمرو لولا حق القرابة والنسب لما حابيتك فخل هذا الامر لنا فقد عفونا هذه النوبة عنك

(حكمة)

قال ازدشير اذا كان الملك عاجزا عن اصلاح خواصه ومنعهم عن الظلم فكيف يقدر على رد العوام الى الصلاح قال الله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين والعرب تقول ليس شئ اضيع للملك وافسد لاحوال الرعية من تعذر الاذن فى الدخول على الملك وتكاثر الحجاب وصعوبة الحجاب وليس شئ أهيب فى قلوب الرعية والعمال من سهولة الحجاب واذا كان الملك سهل الحجاب لم يمكن العمال أن يجوروا على الرعايا وخافت الرعية من جور بعضهم على بعض وبسهولة الحجاب يكون للملك على سائر الاعمال اطلاع ولا يجوز للسلطان أن يكون غافلا لتكون الهيبة من ناموس المملكة باقية وليستريح من الهموم الحادثة عن الغفلة

(حكاية)

يقال ان ازدشير كان متيقظا ذا فطنة بالامور بحيث انه اذا جاءه ندماؤه من الغد حدثكل بما صنعه وكان يقول لاحدهم انك البارحة فعلت الشئ الفلانى واكلت الشئ الفلانى ونمت مع

زوجتك أو الجارية الفلانية ومهما كان يجري لندمائه كان يحدثهم به من الغد بحيث يظنون ان ملكا يأتيه من السماء يعرفه بأسمائهم وكذلك كان السلطان الغازي محمود ابن سبكتكين رحمه الله

(حكمة)

قال ارسطاطاليس خير السلاطين من كان في حدة النظر على امثال العقاب وكان الذين حوله كالعقبان لا كالجيف يعني اذا كان السلطان بعيد النظر ذا يقظة وفكرة في العاقبه وكان المقربون منه وخواص دولته بهذه الصفة انتظمت احوال مملكته واستقامت امور اهل ولايته

(حكمة)

قال الاسكندر خير الملوك من بدل السنة الحسنة وبدل السنة السيئة بالسنة الحسنة وشر الملوك من بدل السنة الحسنة بالسيئة

(حكمة)

قال ابرويز ثلاثة لا يجوز للملك التجاوز عنهم ولا الصفح عن ذنوبهم من قدح في ملكه وافسد حرمه وافشا سره قال سفيان الثوري رحمة الله عليه خير الملوك من جالس اهل العلم ويقال ان جميع الاشياء تتجمل بالناس والناس يتجملون بالعلم وتعلو اقدارهم بالعقل والفهم وليس للملوك شئ خير من العلم والعقل فان في العلم بقاء العز ودوامه وفي العقل بقاء السرور ونظامه ومن اجتمع فيه العقل والعلم فقد اجتمع فيه اثنا عشر خصلة الفقه والادب والتقى والامانة والعصمة والحياء والرحمة وحسن الخلق والوفاء والصبر والحلم والمداراة وهذه من خواص آداب الملوك وينبغي ان تعلم ان هذه الاداب تحتاج الى نظائرها وقرائنها لتصح في استعمالها فينبغي ان

يكون مع العقل العلم ومع الشجاعة الصبر ومع النعمة الشكر ومع الصحة الجلادة ومع الاجتهاد الدولة واذا جاءت الدولة حصل جميع المراد

(حكاية)

اعلم ان يعقوب بن ليث علا امره وارتفع قدره وظهر اسمه وذكره وملك كرمان وسيستان وپارس وخوربستان وقصر الواق وكان الخليفة فى ذلك الزمان المعتمد فكتب الى يعقوب انك كنت رجلا صفارا فمن اين تعلمت تدبير المماليك فرد يعقوب اليه جوابا وقال ان المولى الذى اعطانى الدولة اعطانى التدبير وفى عهد نامة ازدشير مكتوب كل عز لا يضع قدمه على بساط العلم فان عاقبته ذل وكل عدل ليس معه خوف وان كان ناما فان مصيره الى الندم

(حكاية)

قال عبد الله بن طاهر يوما لابيه كم تبقى هذه الدولة فينا وتدوم فى بيتنا قال مادام بساط العدل والانصاف مبسوطا فى هذا الايوان

(حكمة)

كان المأمون قد جلس فى بعض الايام لفصل الدعاوى والاحكام فرفعت اليه قصة فسلم القصة الى وزيره الفضل بن سهل وقال له اقض حاجة رافعها فى هذه الساعة فان الفلك فى سرعة دورانه أحد من ان يثبت على حاله اويفى بحب بآمانه (يقول) مؤلف الكتاب يجب على الملوك العقلاء والافاضل الالبا ان ينظروا فى هذه الاخبار ليأخذوا نصيبا من ايام دولتهم وينصفوا المظلومين ويقضوا حوائج المسلمين السائلين ويتيقنوا ان هذا الملك لا يثبت على دور واحد وانه لا اعتماد على الدولة وان القضاء السماوى لا يرد بالعساكر وكثرة الاموال والذخائر واذا انجلت الدولة تلاشت الاموال

وتفاوتت الرجال ولا ينفع الندم اذا زل القدم كما جاء في الحكاية

(حكاية)

يقال ان مروان آخر خلفا بني امية عرض عسكره فكان ثلثمائه ألف رجل بالعدد الكامل فقال وزيره ان هذا الجيش لمن اعظم الجيوش فقال له مروان اسكت فانه اذا انقضت المدة لم تنفع العدة واذا نزل القضاء وان كان العسكر عظيما كثيرا بان قليلا حقيرا ولو ملكنا الدنيا باسرها فلا بد ان تنزع منا ولمن بقت الدنيا حتى تبقى لنا

(حكمة)

قال ابو الحسن الاهوازي في كتاب الفرائد والقلائد الدنيا لا تصفو لشارب ولا تبقى لصاحب فخذ زاد من يومك لغدك ولا يبقى يوم عليك ولا غد يقال كان على قبر يعقوب ابن ليث مكتوب هذه الابيات عملها قبل موته وامر ان تكتب على قبره وهي هذه

(شعر)

سلام على اهل القبور الدوارس
كانهم لم يجلسوا في المجالس

ولم يشربوا من بارد الماء شربة
ولم يأكلوا ما بين رطب ويابس

فقد جاءني الموت المهول بسكرة
فلم تغن عني الف الاف فارس

فيا زائر القبر اتعظ واعتبر بنا
ولا تك في الدنيا هديت بآنس

خراسان نحويها واكناف فارس
وما كنت من ملك العراق بأيس

سلام على الدنيا وطيب نعيمها
كان لم يكن يعقوب فيها بجالس

سئل ملك كان قد زال الملك عنه فقيل له لاي سبب التفتت الدولة عنك وسلبت المملكة منك فقال لاغتراري بالدولة والقوة ورضائي برآئي وعلمي وغفلتي عن المشورة وتوليتي لاصاغر العمال كبار الاعمال وتضييعي الحيلة في وقتها وقلة تفكري في الحيلة واعمالها وقت الحاجة اليها والتباطي والوقفة في مكان العجلة والفرصة والاشتغال عن قضاء حوائج الناس وقيل له اي الاشرار اكثر شرا فقال الرسل الخونة الذين يخونون في الرسالة لاجل اطماعهم فكل خراب المملكة منهم كما قال أزدشير في حقهم كم سفكوا من الدماء وكم هزموا من الجيوش وكم هتكوا من استار ذي المحرمات الاحرار وكم احتاجوا من الاموال وكم من يمين كذبوها بخيانتهم وكم من عهود نقضوها بقلة امانتهم وكان ملوك العجم في هذا الامر يتحرزون ويتحفظون وما كانوا ينفذون رسولا الا بعد أن يجربوه ويمتحنوه

(حكاية)

ارسل الملك الاسكندر رسولا الى الملك دارا فلما عاد الرسول واعاد الجواب شك الاسكندر في كلامه في كلمة فلزمها عليه فقال الرسول يامولاي انا سمعت منه هذه الكلمة باذني هاتين فامر الاسكندر ان يكتب ذلك اللفظ بعينه وانفذه على يد رسول آخر الى دارا بن دارا فلما وصل اليه وعرض المكتوب عليه وقرأه طلب سكينا وقلع تلك الكلمة من الكتاب واعاده الى الاسكندر وكتب اليه ان اس الملك على حسن سنة الملك وصحة طبعه واساس صحة السلطان على صحة لفظ السفرآء وصدق مقالة الرسل الامناء لان الرسول يقول ما يقوله عن لسان الملك ويسمع ما يسمعه من الجواب بسمع الملك والان فقد قلعت تلك الكلمة من الكتاب لانها لم تكن من كلامي ولم اجد سبيلا الى قلع لسان رسولك فلما عاد الرسول وقرأ

الاسكندر الكتاب استدعى الرسول الاول وصاح عليه وقال
له ويلك من وضعك على اتلاف ملك من الملوك بتلك الكلمة التى
تكلمت بها فاقر الرسول وقال انه قصر فى حقى واسخطنى فقال
الاسكندر سبحان الله اتظن امنا ارسلناك لتصلح امورك وتضيع
امورنا ونسعى فى حقوق الناس ايننا ثم أمر به فسل لسانه من
قفاه

(فصل)

ويجب على السلطان انه متى ما وقعت رعيته فى ضائقة وحصلوا
فى شدة وفاقة ان يغيثهم لاسيما فى أوقات القحط وغلا الاسعار
حيث يعجزون عن التعيش ولا يقدرون على الاكتساب فينبغى
حينئذ للسلطان أن يغنيهم بالطعام ويسعدهم من خزائنه بالمال
ولا يمكن احدا من حشمه وخدامه واتباعه أن يجور على رعيته
لئلا يضعف الناس وينتقلون الى ولايته ويتحولون الى سوى ايالته
فينكسر ارتفاع السلطان ويقل حاصل الديوان وتعود المنفعة على
ذوى الاحتكار الذين يسرون بغلا الاسعار ويقبح ذكر الملك
ويدعى عليه ولاجل هذا كان الملوك المتقدمون يحذرون من هذا
غاية الحذر ويراعون الرعايا من خزينهم ويساعدونهم من
ذخايرهم ودفاينهم

(حكاية)

يقال انه كان رسم ملوك العجم ان يأذنوا الرعاياهم فى الدخول اليهم
فى ايام النوروز والمهرجان وكان المنادى ينادى قبل ذلك بايام
ان استعدوا اليوم الفلانى ليأخذ كل من الناس اهبته ويصلح امره
ويكتب قصته ويتيقن حجته ومن كان له خصم يعلم انه يتألم منه
عند الملوك طلب رضاه فاذا كان ذلك اليوم وقف المنادى على
باب الملك ونادى ان منع اليوم احد من الدخول كان الملك بريا

من دمه ثم كانت تؤخذ القصص من الناس وتوضع بين يدي الملك
وكان ينظر في كل واحدة منها على الانفراد وموبذ موبذان قاعد
على يمينه وموبذ موبذان بلسانهم قاضي القضاة فان كان في
القصص قصة يتألم فيها من الملك قام الملك من مكانه وبرك بين يدي
موبذ موبذان على ركبتيه مقابل خصمه ثم قال انصف اولا هذا
الرجل مني ولا تخلد الى الميل والمحاباة ولا تختر ني على نفسك لان
الله جل ذكره اذا أهدى الحظوظ لعباده اختار لهم وولى عليهم خير
خليفة واذا أراد ان يرى عباده اي قدر لذلك الخليفة عنده اطلق
على لسانه ما يطلق على لسانك ثم كان ينظر الموبذ فان كان بين
يدي الملك وبين خصمه دعوى صحيحة وقامت البينة على الملك
اخذ الحق منه بتمامه وكماله وان لم يكن بين الخصم وبين الملك دعوى
صحيحة وكانت دعواه باطلة لا يثبت على صحتها حجة امر بعقوبته
ونادى عليه هذا جزاء من يريد عيب الملك والمملكة وكان الملك
اذا فرغ من الدعاوى استوى على سرير مملكته ووضع التاج على
مفرقه واقبل على جماعته وخاصته وقال انما انصفت من نفسي لئلا
يطمع احد في الظلم والجور على احد وكل من كان منكم له خصم
فليرضه وكان يبعد عنه في ذلك اليوم كل من كان قريبا منه ومن
كان قويا ضعف عنده وكانت الملوك على هذا السبيل وعلى
هذا المذهب الى ايام يزدجرد بزه الاثم كادفانه غير قواعد ملوك
ساسان وظلم الخلق وافسد حتى جاء بعض الايام فرس في غاية
الجودة والكمال بحيث انه لم يرى احد في ذلك الزمان مثله في حسن
خلقته وجمال هيئته فدخل من باب داره فاجتهد جميع من
في عسكره ان يلزموه فامتنع عليهم ولم يقدروا على امساكه حتى
وصل قريبا من يزدجرد فوقف الى جانب الايوان ساكنا فقال
يزدجرد تنحوا عن هذا الفرس ولا يقربه احد منكم فانه هدية من

الله تعالى خاصة لى فنهض من مكانه وجعل يمسح وجهه قليلا
قليلا ثم امر يده على ظهره والفرس ساكن لا يتحرك فاستدعى
يزدجرد السرج وأسرجه بيده وأوثق جذب حزامه ودار نحو كفله
ليضع الثفر فرفسه الفرس على فوأده رفسة محكمة فخر ميتا فى
الحال فخرج الفرس ولم يعلم أحد من اين جاء ولا الى أين عاد فقال
الناس هذا الفرس كان ملكا ارسله الله تعالى اليه ليهلكه
ويخلصنا من ظلمه وجوره قال القاضى ابو يوسف حضر يوما عندى
فى مجلس حكمى يحيى بن خالد البرمكى مع خصم له مجوسى
فادعى عليه المجوسى فطلب منه الشاهد فقال ليس لى شاهد
فحلفه فحلفت يحيى وارضيت خصمه باحلافه وساويت فى التحكم
بين يحيى وبين المجوسى اعزة الاسلام وماملت مع احد قط
ولا حابيت أحدا خوفا من ان يسألنى الله تعالى عن ذلك بل يجب
ان تعرف قدر الزعماء والاكابر وينبغى للاكابر ان لا يظلموا
اصاغرهم وان يعظموا أمر الحق ويطيعوا السلطان ولا يعصوه
فى حال ليكونوا قد عملوا بقول الله تعالى كما تقدم اطيعوا الله واطيعوا
الرسول واولى الامر منكم ومن يجعل الله تعالى له هذه المرتبة
الشريفة والدرجة المنيفة ويقرن طاعته بطاعته جل اسمه وطاعة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فالواجب على الخلق أن يطيعوه
ويخافوه ويجب على السلطان شكر هذه المنة والطاعة لربه
وامتثال ما امره به من العدل والاحسان والرأفة بالمظلومين فقد
قيل احذروا من دعاء المظلوم وخافوا من ظلم من لا ينتصر ممن ظلمه
الا بدمع عينه فما دون دعاء المظلوم حجاب ودعاؤه مستجاب
ولا سيما الدعاء فى الاسحار * والتضرع فى هدو الليل الى الجبار *
كما قال الشاعر

تنام وما المظلوم عنك بنائم * ودعوته لا تنثنى بحجاب

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تأسفت على موت اربعة من الكفار على موت انوشروان لعدله وحاتم الطائي لسخاوته وعلى امرئ القيس لشعره وعلى عنتر بن شدّاد لفروسيته

(الباب الثاني في سياسة الوزارة وسير الوزرا)

اعلم ان السلطان يعلو قدره ويحسن ذكره بالوزير اذا كان صالحا عادلا كافيا الا انه لا يمكن احد من الملوك ان يصرف زمانه ويدبر سلطانه بغير وزير ومن انفرد برايه ضل بغير شك ألا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم مع جلالة قدره وعظم درجته وفصاحته امره الله تعالى بمشاورة اصحابه العقلاء فقال عز من قائل وشاورهم في الامر واخبر في كتابه عز وجل عن موسى عليه السلام واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي اشدد به ازري فاذا لم يستغن الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين عن الوزراء واحتاجوا اليهم كان غيرهم من الناس احوج سئل ازدشير بن بابكان اي الاصحاب اصلح للملك فقال الوزير العاقل المشفق الامين الصالح ليدبر معه رأيه ويشير اليه بما في نفسه وعلى السلطان ان يعامل الوزير بثلاثة اشياء احدها انه اذا ظهرت منه زلة أو وجدت منه هفوة لا يعاجله بالعقوبة الثاني اذا استغنى في دولته واتسعت حاله في خدمته لا يطمع في ماله وثروته الثالث انه اذا سأله حاجة لا يتوقف في قضائها وينبغي ان لا يمنعه من ثلثة أشياء وهي انه متى اختار أن يراه لا يمتنع عن رؤيته وان لا يسمع في حقه كلام مفسد وان لا يكتم عنه شيأ من سره لان الوزير الصالح حافظ سر السلطان ومدبر امر الدخل وبه عمارة الولايات والخزائن وزينة المملكة وشدة الهيبة والقدرة وله الكلام على الاعمال واستماع الاجوبة وبه يكون سرور الملك وقمع اعدائه وهو احق الناس بالاستمالة وتفخيم القدر وتعظيم الامر قال انوشروان لولده اكرم وزيرك لانه اذا رآك على امر لا يجوز لك

لا يوافقك عليه وينبغي للوزير أن يكون مائلا الى الخير متوقيا من الشر واذا كان سلطانه حسن الاعتقاد مشفقا على العباد كان له عونا على ذلك وأمره منه بالازدياد واذا كان سلطانه ذا حنق غير مشفق على الوزير أن يرشده قليلا قليلا بألطف وجه ويهديه الى الطريقة المحمودة وينبغي أن تعلم ان دوام الملك بالوزير وان دوام الدنيا بالملك وينبغي ان تعلم انه لا يجوز له ان يهتم بغير الخير وتعلم انه اول انسان يحتاج اليه السلطان وسئل بهرام كور الى كم يحتاج السلطان حتى يتم سلطنته وتنصرم بالسرور مدته فقال الى ستة من الاصحاب الوزير الصالح ليظهر اليه سره ويدبر معه رأيه ويسوس امره والفرس الجواد لينجيه يوم الحاجة الى النجاة والسيف القاطع والسلاح الحسين والمال الكثير الذي يخف حمله ويثقل ثمنه كالجوهر واللؤلؤ والياقوت والزوجة الحسناء لتكون مؤنسة لقلبه مزيلة لكربه والطباخ الخبير الذي اذا امسك طبعه دبر له شيأ يطلقه

(حكمة)

قال ازدشير حقيق على الملك ان يكون طالبا الاربعة فاذا وجدهم احتفظهم الوزير الامين والكاتب العالم والحاجب المشفق والنديم الناصح لانه اذا كان الوزير امينا دل على بقاء الملك وسلامته واذا كان الكاتب عالما دل على عقل الملك ورزانته واذا كان الحاجب مشفقا لم يغضب على الملك اهل مملكته واذا كان النديم ناصحا دل على انتظام الامر ومصلحته

(حكمة)

قال موبد موبدان في عهد انوشروان انه لا يمكن حفظ السلطنة الا بالاصحاب الاخيار الناصحين المساعدين ولا ينفع خير الاصحاب

لا اذا كان الملك تقيا الا انه لا ينبغي ان يكون الا الاصل جيد ائم
الفرع ومعنى تقوى السلطان صدقه وصحته وهو ان يكون صحيحا
في سائر الامور آمرا بالصحة بأقواله وافعاله ليصح بصحته سائر حشمه
ورعيته وان يكون قلبه واثقا بالله وان يرى ان قوته وقدرته
وظفره باعدائه ونصرته ووصله الى مراده من الله تعالى وان
لا يعجب بنفسه فان العجب خشي عليه الهلاك كما جاء في الحكاية

(حكاية)

يقال انه كان سليمان عليه السلام جالسا على سرير مملكته وقد
حملته الريح في الهواء فنظر سليمان بالعجب الى مملكته وطاعة
الانس والجن وانقيادهم لعظم هيبته وسياسته فاضطرب السرير
به وهم بالانقلاب فقال سليمان للسرير استقم فنطق السرير وقال
استقم انت حتى نستقيم نحن كما قال عز من قائل ان الله لا يغير
ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وقال أبو عبيدة في امثاله من سلك
الجدأمن العثار ويجب ان يكون الوزير عالما عاقلا شيخا لان
الشاب وان كان عاقلا لا يكون في التجربة كالشيخ والذي يتعلمه
الناس من تجارب الايام لا يتعلم من شخص والوزير زين السلطان
وزين السلطنة والزين يجب أن يكون صالحا طاهرا من الشين
ويحتاج الوزير الى خمسة أشياء ليحمد خبره وتحسن سيرته التيقظ
والنظر في كل أمر يدخل فيه ووجه المخرج منه والعلم حتى تتضح
له الاشياء الخفية والشجاعة حتى لا يخاف من شئ في غير
موضع الخوف والصدق لئلا يعمل مع أحد غير الصحيح وكتمان
سر سلطانه الى ان يدركه الموت قال ازدشير بن بابكان يجب
أن يكون الوزير سا كنا متمهلا شجاعا واسع الصدر حسن المقال
مليح الوجه مستحيا صامتا حيث يحسن الصمت ومتكلما اذا
حسن الكلام ومع ذلك يجب أن يكون تقيا حسن المذهب

ليطهر

ليطهر نفسه وينفي عنها كلما لا يحسن من الاعتقاد وينبغي
أن يكون ذا تجارب ليسهل الامور على الملك وان يكون متيقظا
لينظر عواقب الامور ويخاف من تغير الدهور وان يتحفظ أن
تصيبه عين الزمان وكل ملك كان وزيره له محبا وعليه مشفقا
كان ذلك الوزير كثير الاعداء وكان اعداؤه اكثر من اصدقائه
ولا يجوز للسلطان ان يسمع في حق وزيره كلام المحرضين عليه
الساعين به اليه ليحسده اصدقاؤه وتنكبت اعداؤه ويجب ان
يكون الوزير محمود الطريقة حتى اذا رآى في الملك خلة مذمومة
غير رشيدة رده الى العادة الحميدة من غير غاظة لان الملك اذا
كان على مالا يريده الوزير اذا سمع منه ما يسمعه منه مما يكرهه من
التقريع عمل شرا من ذلك والدليل على ذلك ان البارى جلت
قدرته لما ارسل موسى الى فرعون امره بقوله فقولا له قولا لينا فاذا
كان الله سبحانه وتعالى امر أنبياءه بذلك فالناس اجدر واولى ان
يلينوا مقالهم وان كان السلطان يخشن كلامه فلا يجوز للوزير ان
يحقد عليه ويصبر على كلامه في قلبه فان قدرة الملك تنطق
لسانه فينطق بما يريد واذا كان الوزير محبا للملك صحيح المقال حسن
الفعال فلا يجوز له ان يعدد حسناته على الملك ولا يمن عليه (قال
اهل الفطنة اذا احسنت الى احد وعددت احسانك اليه كان شرا
من الامتنان عليه بتقريعك له وينبغي أن يعلم الوزير وخاصة الملك
انهم مهما فعلوه من حسن فان ذلك باقبال الملك وبركة ظله انفعل
فالمنة حينئذ تصلح ان تكون له على الخلق واعظم فساد ينشأ
في دولة الملك يكون من امرين احدهما من الوزير الخائن
والثاني من نية الملك الرديئة الفاسدة * (قال انوشروان
شر الوزراء من جرء السلطان على الحرب وحداه على القتال
في موضع ينصلح الحال بغير حرب لان الحرب في سائر الاحوال

يغني ذخائر الاموال وفيها تبذل كرائم النفوس ومصونات الازواج وقال أيضا كل ملك كان له وزيرا جاهلا فمثله كمثل الغيم الذي يبدو ويظهر ولا يندى ولا يمطر وفي كتاب وصايا ارسطاطاليس كل امر ينقضي على يد غيرك بلا حرب ولا خشونة فهو خير مما تقضيه بيدك بالحرب والغضب والعلماء يضربون هذا المثل ويقولون ينبغي أن تمسك الحية بيد غيرك لا بيدك وترتيب الوزراء انهم مهما امكنهم ان يحاربوا بالكتب فليحاربوا فان لم تأت الامور بالاحتيال والتدبير فيجتهدون في تاتيها باعطا الاموال وبذل الصلاة والنوال ومتى انهزم لهم عسكر اعفوا من ذنوب الجند ولم يستعجلوا بقتلهم لانه قد يمكن قتل الاحيا ولا يمكن احياء القتلى وان الرجل يصير رجلا في اربعين سنة ومن مائة رجل يكون رجل واحد يصلح لخدمة الملوك وان اسر احد من الجند من اصحاب الملك كان على الوزير ان لا يفتكه ويفتديه ويخلصه ويشتريه ليسمع الجند بصنيعه فتقوى قلوبهم اذا باشروا احروبهم وعلى الوزير ان يحفظ ارزاق الجند كل انسان منهم على قدره وان يدرب الرجال الشجعان بآلات الحرب وان يخاطبهم باحسن كلام ويلين لهم في الكلام ويلطف لهم في الجواب فان الجند قد قتلوا كثيرا من الوزراء في قديم الايام وسالف الاعوام ومن سعادة السلطان ويمن طلعته وقوة جده ان يسهل الله له وزيرا صالحا ومشيرا ناصحا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بامير خير قيض الله له وزيرا نصيحا صادقا صبيحا ان نسي ذكره وان استعان به اعانه قال مؤلف الكتاب ان الله جل اسمه يظهر قدرته في كل وقت وزمان وحين واوان ويصطفي جماعة يختارهم من عباده مثل السلاطين والوزرا واكابر العلماء يعمر بهم الدنيا ومن عجائب الزمان حديث البرامكة الذين لم يوجد لهم في الدنيا نظير في الكرم

والسخاو بذل المعروف والعطاوكان تحت حكمهم أكثر الولايات
الوافرة الارتفاعات وبعد انقراضهم فسدت احوال الوزاره ولم يبق
لخدمة الملوك رونق ونضارة الى أن اوجد الله ببركاته سلجوق وظل
دولتهم الى النظام واوصلهم الى درجات الوزراء المتقدمين وارتفع
بحيث انه لم يبق فى الدنيا أحد من أهل الفضل والادباء وأبناء
السبيل الغرباء من وضيع وشريف الا وهو مشمول باحسانهم
مغمور بامتنانهم ولم يكن آحد منهم من خيرهم محر وما وانما ذكرنا
هذا ليعلم من يقرء كتابنا الفرق بين الصالح وغير الصالح وقال
بزرجمهر لا تقاس الاشيأ بعضها ببعض لان جوهر الناس أجل من
كل جوهر وانما زينة الدنيا جميعها بالناس والباري جلت قدرته
لا ينسب الى الخطا وهو واهب الصلاح لمن يشأ فانه يؤتى كل احد
ما يصلح له و يليق به فينبغي ان تكون وزراء الملوك ومدبروا دولتهم
على هذه الصفة وان يحفظوا رسوم المتقدمين وطرائقهم وان
يلتمسوا الاموال التى تؤخذ من الرعية فى أوقاتها وأحيانها وعند
وجوبها وأبانها وليعرفوا الرسوم ويحملوا الرعية بحسب طاقتها
وقدر قوتها وان يكونوا فى تصيدهم صايدى الكركي لا قاتل
العصفور ولا يجوز لهم أن يحرصوا على تناول اموال المواريث مادام
الوارث موجودا فالطمع فى ذلك مشؤم غير جائز ويجب عليهم
استمالة قلوب الرعية والحشم بهبات الفوائد والنعم وليعلموا ان
كفايتهم وسمو مرتبتهم وصلاحهم منوط بصلاح الرعية ليحسن
ذكرهم فى الدنيا وينالوا جزيل الثواب فى العقبى

(الباب الثالث فى ذكر الكتاب وآدابهم)

قال العلماء ليس شئ أفضل من القلم لانه يمكن اعادة السالف
والماضى ومن فضل القلم وسروره عند الله عز اسمه أقسم به فقال

جل من قائل ن والقلم وما يسطرون وقال تعالى ذكره اقرء وربك
الاكرم الذى علم بالقلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول
ما خلق الله تعالى القلم فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة الحديث
قال عبد الله ابن عباس فى تفسيره هذه الآية الكريمة حكاية
عن يوسف عليه السلام اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم
معناه وكلنى على كنوز الارض انى حافظ ويقال انه صائغ الكلام
قال بن المعتز القلب معدن والعقل جوهر والقلم صائغ والخط
صناعة قال جالينوس القلم طبيب الكلام قال بليناس الحكيم القلم
طلسم كبير (قال) الاسكندر الدنيا تحت شيئين السيف والقلم
والسيف تحت القلم والقلم ادب المتعلمين وبضاعتهم وبه يعرف راى
كل انسان من قريب وبعيد ومهما كان الرجل مجربا للزمان فانه مالم
ينظر فى الكتب لايكون كامل العقل لان مدة عمر الانسان معلومة
ومعلوم أيضا انه لم يمكنه ان يدرك بتجربته ومعلوم أيضا انه لم يمكنه
ان يحفظ بقلبه السيف والقلم حاكمان فى جميع الاشياء ولولا السيف
والقلم لما قامت الدنيا واما الكتاب فانهم لا يجوز ان يعرفوا اكثر
من حدود الكتابة ليصلحوا لخدمة الاكابر وقالت الحكماء والملوك
القدماء ينبغى ان يكون الكاتب عالما بعشرة الاول بعد الماء وقربه
تحت الارض ومعرفة زيادة الليل والنهار ونقصانهما فى الصيف
والشتاء ومسير الشمس والقمر والنجوم ومعرفة الاجتماع
والاستقبال والحساب بالاصابع وحساب الهندسة والتقويم
واختيارات الايام وما يصلح للزارعين ومعرفة الطب والادوية
ومعرفة ريح الشمال والجنوب وعلم الشعر والقوافى ومع هذا كله ينبغى
ان يكون الكاتب خفيف الروح طيب اللقاء عالما بيرات القلم وقطه
ورفعه وحطه ومهما يكن فى قلبه أظهره بشباة قلمه وان يحرس نفسه
من طغيان قلمه وينبغى للكاتب ان يعرف أى حرف يجوز ان يمد

وای

واى حرف يكون مجتمعا متصلا ولا يكتب الخط مبينا ويعطى كل حرف حقه كما يحكى أنه كان لعمر بن الخطاب رضى الله عنه عامل فكتب كتابا الى عمرو بن العاصى ولم يظهر سين بسم الله ثم توجه بعد ذلك الى عملك وأول ما ينبغى أن يعرف الكاتب براية القلم فان الانسان اذا كان يحسن الخط و يقدران يبرى القلم فان الخط على كل حال يجئ صالحا كما جاء فى الحكاية

(حكاية)

كان لشاهنشاه الرى عشرة من الوزراء وكان فى جملتهم الصاحب ابن عباد فاجتمع الوزراء كلهم على نكبته واتفقوا على التضريب عليه وقالوا ان الصاحب لا يقدر يبرى قلمه فلما علم بذلك جمعهم جملتهم فقال لهم الصاحب الكافى اى ادب فيكم لى مثله حتى تحاسرو وتحدثوا عنى بحضرة السلطان شاهنشاه فان أبى علمنى الوزارة ولم يعلمنى التجارة وأول آدابى أية القلم وهل فيكم من يقدران يكتب كتابا تاما بقلم مكسور الرأس فعجز الجماعة عن ذلك فقال له شاهنشاه اكتب أنت فأخذ الصاحب قلما وكسر رأسه وكتب به درجا تاما فاقر الجماعة بفضله واعترفوا بادبه ونبله واجود الاقلام ما كان مستقيما اصفر اللون رقيق الوسط والقلم المحرف من الجانب الايمن يصلح للخط العربى والفارسى والعبرى واللسان الدرى يجب ان يكون قلمه محرفا من الجانب الايسر وخير الاقلام ما وصفه جعفر بن خالد البرمكى فى كتاب كتبه الى محمد بن ليث قلم لا غليظ ولا رقيق ويجب ان تكون براية القلم على شكل منقار الكركى محرفا من الجانب الايمن وينبغى أن يكون المقط الذى تقط عليه الاقلام فى غاية الصلابة ويجب ان تكون الانقاس فارسية خفيفة الوزن والكاغد صقيلا متسا ويا فى غاية الصقالة وان يجادحل الانقاس وكل حرف ازيد من ثلاثة احرف

قوله ثم لعل قبله فقال له عمر اظهر السين

بلغ

يجب ان يعدوما كان اقل لا يجوز مده وانه يتوحش بذلك الخط ان تكون صورة الحروف يشبه بعضها بعضا ولا يقدر على ذلك الا حكيم عاقل ومن تعودت بذلك اناملة كان عبد الله بن رافع كاتبا لامير المؤمنين رضى الله عنه فقال كنت اكتب كتابا فقال لي امير المؤمنين يا عبد الله ألق دواتك واطل جلفة قلمك ووسع بين السطور واجمع ما بين الحروف وكان عبد الله بن جبلة كاتبا محسنا فقال لغلمانه لتكون أقلامكم بحرية فان لم تكن بحرية تكن صغرا واقطعوا عقدا لا قلام لئلا تتعقد الامور ولا يجوز انقاد كتاب بغير ختم فان كرم الكتاب ختمه وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما في تفسير قوله تعالى انى ألقى الى كتاب كريم أى مختوم وامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يكتب كتابا الى العجم وقال انهم لا يريدون كتابا بغير ختم فختمه بخاتمه المبارك وكان على فصه مكتوب محمد رسول الله خبر روى صخر بن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كتب كتابه الى النجاشي رماه على التراب ثم انقذه فلا جرم أنه أسلم وقال النبي صلى الله عليه وسلم تربوا كتبكم فانه انجح لحوائجكم وقالوا تربوا الكتاب فان التراب مبارك واذا كتب الكتاب فليقرء قبل طيه فان كان فيه خطاء تداركه واصلحه وينبغي أن يجتهد الكاتب ان يكون الكلام قصيرا والمعنى طويلا وان لا يكرر كلمة يكتبها وان يحترز من الالفاظ الثقيلة الغثة ليكون كاتبا محمودا وفى باب الكتابة كلام كثير ونقنع منه بهذا القدر لئلا يطول الكلام فقد قيل خير الكلام ما قل وجل ودل ولم يمل

(الباب الرابع فى سمو همم الملوك)

قال امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه اجتهد ان لا تكون دنى الهمة فانى ما رأيت شيئا اسقط لقدم الانسان من تدانى همته وقال عمرو بن العاص المرء حيث وضع نفسه يريد ان عز

نفسه علا امره وان ذلها ذل وهان قدره وتفسير الهمة ان يرفع نفسه فان انفة القلب من هم الاكابر لانهم يعرفون قدر انفسهم فيعزونها ولا يعرف احد قدر احد حتى يكون هو الرافع لقدر نفسه واعزاز المرء نفسه ان لا يخلط بالاراذل ولا يشرع في عمل مالا يجوز لمثله ان يعمله ولا يقول ما يعاب به والهمة والانفة للملوك لان الله تعالى ركب فيهم هذه الخصلة وكل ملك لم يكن له هذه الخصلة ويتعلمها من الوزراء والندماء كما جاء في الحكاية

(حكاية)

أمر أبو الدوانيق لرجل بخمسمائة درهم فقال ابن الخصيب لا يجوز للملك ان يعرف ما دون الالف من العدد وكان هارون الرشيد يوما راكبا في موكبه فسقط فرس رجل من عسكره فقال الرشيد ليعطى خمسمائة درهم فاشار يحيى اليه بعينه وقال هذا خطاء فلما نزلا قال هارون أي خطاء بدا مني حتى أشرت الي بعينك فقال لا يجوز ان يجري على احد من الملوك اقل من الالف فقال الرشيد فان اتفق امر لا يجوز ان يعطى فيه اكثر من خمسمائة مثل هذا كيف يقال فقال له قل يعطى فرسا فيوصل اليه فرس على جاري الرسم وتكون قد نزهت نفسك وهمتك عن ذكر الحقير ولهذا السبب خلع المامون ولده العباس من ولاية عهده وذلك ان المامون اجتاز بباب حجرة العباس فسمعه يقول لغلامه يا غلام قد رأيت في الرصافة نفلا حسنا وقد اشتهيت منه فخذ نصف درهم وصر الى الرصافة فاتني بشيء منه فناداه المامون وقال من الآن قد علمت ان للدرهم نصفا اذهب فانت لا تصلح للولاية وترتيب الملك ولا يأتي منك صلاح ولا فلاح

(حكمة)

يقال ان فی وصية نامیٔ ازدشير انه قال اذا اردت ان تهب لاحد
من اولادك شياء فاجتهدان لا يكون عطاءك اقل من دخل ولاية
اوقرية اوقيمة بلدا ورستاق ليستغنى الشخص الذى تهبه وتزول
حاجته وتستغنى اعقابه بك واولادهم ماعاشوا فيحصل بذلك
فی حساب الاحياء لا فی حساب الاموات واجتهدان لا ترغب
فی التجارة بوجه من الوجوه فان ذلك يدل على تدانی همة الملك

(حكمة)

يقال انه كان للملك هرمز بن سابور وزير فكتب اليه كتابا يذكر فيه
انه وصل من جانب البحر تجار معهم لؤلؤ وياقوت وجواهر نفيسة
القيمة وانی ابتعت منهم برسم الخزانة بمبلغ مائة الف دينار والان
قد حضر فلان التاجر وهو يطلب الجواهر بربح كثير فان رغب الملك
فليرسم بما يراه فكتب هرمز جوابه مائة الف ومائة الف مثلها
وامثالها ليس لها فی اعيننا خطر لنرغب فيها واذا علمنا عملنا نحن
التجارة فمن يعمل السلطنه فانظر ايها الجاهل لنفسك لا تعد الى مثل
هذا الكلام ولا تخلط فی اموالنا درهما واحدا ولا دانقا فردا من
ارباح التجارات فان ذلك يسقط قيمة الملك ويزرى بحسن اسمه
ويعود بقبح قاعدته ورسمه ويضر بصيته فی حال حياته وبعد
وفاته

(حكاية)

حكى ان الامير عمارة بن حمزة كان فی بعض الايام جالسا فی مجلس
الخليفة المنصور ابی الدوانيق وكان يوم نظره فی المظالم فنهض
رجل على قدميه وقال يا أمير المؤمنين انا مظلوم فقال من ظلمك
فقال عمارة ابن حمزة اغتصب ضياعی وابتز ملكی وعقاری فامر
المنصور ان يقوم من موضعه ويساوی خصمه للمحاكمة فقال عمارة

ابن

ابن حمزه يا امير المؤمنين ان كانت الضياع له فما اعارضه فيها وان كانت لي فقد وهبتها له ومالي حاجة في محاكمته ومماثلته ولا أبيع مكاني الذي أكرمني به أمير المؤمنين بضياع فتعجبت الاكابر الحاضرون من علو همته وشرف نفسه ومروءته الهمة والتهمة على شكل واحد وكل انسان له منها نصيب فواحد بالسخا واطعام الطعام وآخر بالعلم وآخر بالعبادة والقناعه والزهادة وترك الدنيا واخر بطلب العقبى وآخر بطلب الزيادة واما الهمة بالسخا وبذل المال وابتداء النوال فينبغي ان يكون كما جاء في الحكاية

(حكاية)

*يقال ان يحيى بن خالد البرمكي خرج من الخلافه راكبا الى داره رأى على باب الدار رجلا فلما قرب منه يحيى نهض قائما وسلم عليه وقال له يا ابا علي الى ما في يديك وقد جعلت الله وسيلتي اليك فامر يحيى ان يفرد له موضع في داره وان يحمل اليه في كل يوم الف درهم وان يكون طعامه من خاص طعامه فبقي على ذلك شهرا كاملا فلما انقضى الشهر كان قد وصل اليه ثلاثون الف درهم فاخذ الرجل الدراهم وانصرف فقيل ليحيى فقال والله لو انام عندي مدة عمري وطول دهره لما منعته صلتي ولا قطعت عنه ضيافتي

(حكاية)

كان لجعفر بن موسى الهادي جارية عوادة تعرف بالبيذر الكبير لم يكن في زمانها احسن منها وجها ولا أحذق بصناعة الغناء وضرب الاوتار وكانت في غاية الكمال ونهاية الجمال فسمع بخبرها محمد بن زبيدة الامين والتمس من جعفر ان يبيعه اياها فقال له جعفر انت تعلم انه لا يجئ من مثلي بيع الجواري والمساومة على السراري ولولا أنها مربية داري لانفذتها اليك ولم انفس بها

عليك ثم ان بعد ذلك بايام جاء محمد بن زبيده الى داره فرتب له
مجلس الشراب وامر بدزان تغني له وتطربه فاخذ محمد في الشراب
والطرب ومال على جعفر بكثرة الشرب حتى سكر واخذ الجارية
معه الى داره ولم يمد اليها يدا ثم رسم من الغد باستدعا جعفر فلما حضر
قدم بين يديه الشراب وامر الجارية ان تغني من داخل الستارة فسمع
جعفر غناها فلم ينطق من شرف نفسه وهمته ولم يظهر تغيرا
في محاضرته ثم امر محمد الامين ذلك الزورق الذي ركب جعفر
اليه بالدراهم فيقال انه وضع فيه الفي بدرة وجملتها مائة الف الف
درهم حتى استغاث الملاحون وقالوا ما يقدر الزورق يحمل اكثر من
هذا وامر بحمله الى دار جعفر هكذا كانت همم الاكابر سئل بعض
الحكماء من اسوء الناس حالا فقال من كان اكثرهم همة واكثرهم
علما واغزرهم فهما واضيقهم حالا فقيل له فيمن ينبغي يتوصل
ليخلص من نحوسة حظه وضائقة يده فقال بالملوك الاكابر وذوي
الهمم العالية والنفوس الشريفة السامية كما قيل جاور بحرا
اوملكا

حكاية

قال سعيد ابن سالم الباهلي قال اشتدت بي الحال في زمن هارون
الرشيد واجتمع علي ديون انجز في قضائها وعسر علي اداءها
فاحتشد بباب داري ارباب الديون وتزاحم المطالبون ولازمني
الغرماء فضاقت حيلتي وزادت فكرتي فقصدت عبد الله ابن مالك
الخزاعي والتمست منه ان يمدني برأيه ويرشدني الى باب الفرج
فقال عبد الله لا يقدر احد على خلاصك من محنتك وهمك
وضايقتك وغمك سوى البرامكة فقلت ومن يقدر على احتمال
تكبرهم والصبر على تيههم وتجبرهم فقال تحتمل ذلك لمصلحة
احوالك فنهضت ومضيت الى الفضل وجعفر ابن يحيى ابن خالد

وقصصت عليهما قصتي وابديت لهما صحفتي فقالوا اعانك الله واقام لك الكفاية فعدت الى عبد الله ابن المبارك ضيق الصدر متقسم الفكر منكسر القلب واعدت عليه ما قالاه فقال يجب ان تكون اليوم عندنا لننظر ما يقدره الله تعالى فجلست عنده ساعة واذا بغلام قد اقبل وقال ببابنا بغال باحمالها ومعها رجل يقول انا وكيل الفضل وجعفر فقال عبد الله ارجو ان يكون قد جاء الفرج ما الشان فنهضت واسرعت عدوا فرأيت ببابي رجلا ومعه رقعة فيها مكتوب انك لما عدت من عندنا مضيت الى الخليفة وعرفته ما قد افضت بك الحال اليه فامرني ان احمل اليك من بيت المال الف الف درهم فقلت له هذه الدراهم يصرفها الى غرمائه فمن اين يقيم وجوه نفقاته فامر بثمان مائة الف درهم اخرى وقد حملت انا من مالي الف الف درهم اخرى فصارت الجملة الفي الف وثمان مائة الف درهم لتصلح بها احوالك

(حكاية)

يقال انه كان لانوشروان نديم وكان في مجلس الشراب جام من ذهب مرصع بالجوهر فسرقه النديم ونظر اليه أنوشروان ورآه وهو يخيفه فجاء الشرابي وطلب الجام فلم يجده فنادى يا أهل المجلس قد ضاع لنا جام من ذهب مرصع بالجوهر فلا يخرجن أحد حتى يرد الجام فقال انوشروان للشرابي مكنهم من الخروج فان الذي سرق ما يعيده والذي رآه ما يغمز عليه وأين كان السخا وعلو الهمة كانت الراحة والخيرة لكن من يكفر الاحسان ويجحد الامتنان لا أصل له ومن لا أصل له لا يقدر ان يستر نكره

(حكاية)

يقال ان الرشيد استدعى صاحب التاريخ الذي تغير على البرامكة

فقال يا صالح صر الى منصور وقل له لنا عليك عشرة آلاف ألف درهم ونريد ان تحصلها في هذه الساعة وان لم يحصلها الى المغرب فجز رأسه عن بدنه واتني به قال صالح فصرت الى منصور وعرفته ماذكره اى ماذكره الرشيد من سياسته فقال آه هلكت والله وحلف ان جميع اسبابه واملاكه لاتزيد قيمتها على مأية الف درهم فمن اين اقدر على تحصيل عشرة آلاف الف درهم قال صالح فقلت له دبر حيلة في امرك فاني لااقدر ان تمهل ولا احابي فيما امرني به فقال العفو يا صالح احملني الى بيت لاودع اهلي واولادي وصيتي واوصي اقاربي فمضيت معه فجعل منصور يودع اهله وارتفع في منزله البكاء والصراخ والاستغاثة قال صالح فقلت له ربما كان لك فرج على ايدي البرامكة فامض بنا الى يحيي ابن خالد قال فاتينا يحيي بن خالد ومنصور يبكي ويصرخ فعلم يحيي حاله وفهم مانا له فاغتم له واطرق الى الارض ساكتا زمانا ثم رفع رأسه الى خازنه وقال كم في خزانتنا من الدراهم فقال خمسمائة ألف ألف درهم فامر باحضارها وانفذ قاصدا الى الفضل ولده وقال له قل له انه قد عرض على البيع ضياعا جليلة لاتخرج أبدا فأنفذ لنا شيأ من الدراهم فانفذ الفي الف درهم وانفذ انسانا آخر الى جعفر وقال له قل له قد اتفق لنا شغل ونحتاج الى شئ من الدراهم فانفذ جعفر الفي الف درهم فقال له يحيي قد صح تسعة آلاف درهم فقال له منصور يا مولاى قد تمسكت بذيلك وما اعرف هذا المال الا من انعامك فتمم لي بقية ديني فاطرق يحيي وبكى وقال يا غلام ان أمير المؤمنين كان قد وهب جاريتنا دنانير جوهرة عظيمة القيمة فامض اليها وقل تنفذ لي تلك الجوهرة فمضى الغلام اليها فاعطته الجوهرة وحملتها اليه فقال يحيي يا صالح انا ابتعت هذه الجوهرة لامير المومنين من التجار بمائتي الف دينار

و وهبها امير المومنين لدنانير العوادة واذا رآها عرفها وقد تم الآن
مال مصادرة منصور فقال لامير المومنين ليهب لي لمنصور وقال
صالح فحملت المال والجوهرة الى الرشيد فبينا نحن في الطريق
انا ومنصور وسمعته يتمثل ببيت من الشعر فتعجبت من رداته
وفساده وخبث اصله وميلاده والبيت وما ابتغتني مستمسكا بي
ولكن رأيتك خفت من ضرب النبال وقال صالح فحردت عليه
وقلت له ليس على وجه الارض خير من البرامكة ولا اشر منك
فانهم اشتروك وانقذوك من الهلاك ومنوا عليك بالفكاك ولم
تشكرهم وتحمدهم وتفعل فعل الاحرار وقلت بالغيب ما قلت ثم
مضيت الى الرشيد وقصصت عليه ما جرى فتعجب الرشيد من
سخاوة يحي ومروته وقال شئ قد وهبناه لا نعود فيه وعاد صالح
يحي بن خالد وذكر له قصة منصور وسوء فعله فقال يحي اذا كان
الانسان مقلا مضيق الصدر مشغول الفكر بضايقه اليد فمهما قاله
يقوله فليس ذلك من قلبه وجعل يتطلب العذر لمنصور فبكى
صالح وقال لا يعود الفلك الداير يخرج الى الوجود رجلا مثلك
لا اخرج قبلك فوا اسفا كيف يتوارى رجل له خلق مثل خلقك
تحت التراب

(حكاية)

يقال انه كان بين خالد ابن يحي البرمكي وبين عبد الله ابن مالك
الخزاعي عداوة في السر ما كانا يظهرانها وكان سبب العداوة بينهما
ان هارون الرشيد كان يحب عبد الله الى ابعد غاية بحيث كان يحي
ابن خالد واولاده يقولون ان عبد الله يسحر امير المؤمنين حتى
مضى على ذلك زمان والحقد في قلوبهما فولى الرشيد امارة أرمنية
لعبد الله ابن الخزاعي وسيره اليها ثم ان رجلا من اهل العراق كان له
ادب وزكاء وفطنة فضاق ما بيده وفني ماله فزور كتابا عن يحي ابن

خالد الى عبد الله بن مالك الى ارمنية وسافر به الى عبد الله فحين
وصل الى باب داره سلم الكتاب الى بعض حجابه فاخذ الحاجب
الكتاب وسلمه الى عبد الله ففضه وقرأه وتدبره فعلم انه مزور فحين
دخل الرجل وسلم ودعا له وقال عبد الله احتملت بعد الشقه وثقل
المشقه وجئتنا بكتاب مزور ولكن طب نفسا فاننا لا نخيب
سعيك فقال الرجل اطال الله بقاء الامير ان كان قد ثقل عليك
وصولى فلا تحتج فى منعى بحجة وأرض الله واسعة والرازق حى
مبين والكتاب الذى اوصلته صحيح غير مزور فقال عبد الله انا
اعتمد معك امرين وهما أنى اكتب كتابا الى وكيلى ببغداد وامره
ان يسأل عن هذا الكتاب الذى اتيت به فان كان حقا اعطيتك
امارة بعض بلادى وان اثرت العطا اعطيتك مائة الف درهم مع
الفرس والخلعة والتشريف وان كان كلامك كذبا عجلت عليك
الهلاك حتى لا يتطاول احد الى مثل هذا الامر ثم انه كتب الى وكيله
ببغداد يقول انه قد وصل الى رجل ومعه كتاب يذكر انه من يحيى بن
خالد وانا سيئ الظن فى هذا الكتاب فيجب ان تحقق هذا الحال
لنعلم صدقه من كذبه فعرفنى الجواب فلما وصل كتاب عبد الله الى
وكيله ومضى الى دار يحيى ابن خالد فوجده مع ندمائه وخواصه
جالسا فسلم الكتاب اليه فقرأه خالد ثم قال للوكيل عد الى من الغد
لاكتب الجواب والتفت الى ندمائه وقال ما جزاء من تحمل عنى كتابا
وزور منى خطابا الى عدوى فقال كل واحد من الندماء شيأ وجعل
كل انسان منهم يعدد نوعا من العقاب وجنسا من العذاب فقال
لهم يحيى لقد اخطأتم وهذا الذى ذكرتموه من خسة الهمم وتدانيا
وكلكم تعرفون قرب عبد الله ودنوه عند أمير المؤمنين وتعلمون
ما بينى وبينه من البغض والآن قد سبب الله هذا الرجل وجعله
متوسطا فى الصلح بيننا ووفقه لذلك وقيضه ليمحو حقد عشرين

سنة من قلوبنا وانصلح بواسطته صورتنا وقد وجب علي ان آفي
لهذا الرجل بتأمله واصدق ظنونه واكتب له كتابا الى عبد الله
ليتوفر على اكرامه واعزازه واحترامه فلما سمع الندماء منه ذلك
دعوا له بالخيرات وتعجبوا من كرمه وسمو همته ثم طلب الكاغد
والدواة وكتب الى عبد الله بخط يده كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن
الرحيم وصل كتابك اطال الله بقاءك وفضضته وقرأته وسررت
بسلامتك وابتهجت باستقامتك وكان ظنك ان ذلك الرجل الحر
زور عني كتابا ولفق خطابا وليس الامر كذلك فان الكتاب انا كتبته
وعلى يده انا انفذته وليس بمزور عني وتوقعي من كرمك وحسن
شيمك ان تفي لذلك الرجل الحر الكريم بأمله وتوف له حرمة قصده
وتوصله وان تخصه منك بغامر الاحسان ووافر الامتنان ومهما
فعلته في حقه انا المعتد به والشاكر عليه ثم عنون الكتاب وختمه
وسلمه الى الوكيل وانفذه الوكيل الى عبد الله فحين قرءه ابتهج
بما حواه واحضر الرجل وقال اى الامرين اللذين ذكرتهما تختار
فقال له الرجل العطا أحب الى فأمر له عبد الله بمائتي الف درهم
وعشرة افراس عربية خمسة منها بالمراكب المحلاة وخمسة
بالجلال وعشرين تخت من الثياب وعشرة من المماليك ركاب
الخيول وما يليق بذلك من الجواهر المثمنة وسيره في صحبة ماءمونه
الى بغداد فلما وصل الى اهله قصد باب يحيى بن خالد وطلب الاذن
فدخل الحاجب على يحيى وقال له يا مولاي بيابنا رجل ظاهر
الحشمة البزة حسن الحالة كثير الغلمان فأذن له في الدخول فدخل
وقبل الارض بين يديه فقال له يحيى ما اعرفك فقال له انا الرجل
الذي كنت ميتا من جور الزمان وغدر الحدثان فانشرتني
واحييتني أنا الذي كنت حملت الكتاب المزور عنك الى عبد الله
ابن مالك فقال له يحيى ما الذي فعل واى شئ اعطاك فقال من

بركتك وظلك وهمتك وفضلك أعطاني واغناني وقد جاءت جميع
عطيته وها هي ببابك والامر اليك والحكم في يدك فقال له يحي
صنعك معي اكثر من صنعي معك ولك المنة العظيمة على واليد
الجسيمة اذا بدلت العداوة التي كانت بيني وبين ذلك الرجل المحتشم
بالصداقة وانت كنت في ذلك السبب وانا اهب لك من المال مثل
ما وهب لك ثم أمر له من المال بمثل ما أعطاه عبد الله وانما اوردنا
هذه الحكاية ليعلم من يقرؤها أن الانسان اذا كانت همته عالية
لا يضيع ابدا كما لم يضع ذلك الرجل ولو كان خسيس الطبع لا لتجا
الى عمل دني وتعلق بلئام الناس لكنه لما كان همته سامية تهور
واقدم وخاطر مع رجل محتشم كريم الاخلاق طاهر الاعراق
فوصل بذلك التهور الى مراده وانظر الى الرجلين الكريمين
المحتشمين الزعيمين والى سموهما كيف غاملاه وبماذا قابلاه
ولم يريا في مروتهما عقوبته وغذابه ونال ببركتهما طلابه وتخلص
من شدة زمانه وضايقته وأفلت من شرك محنته وعاد ذا نعمة سنية
ورتبة عالية وحصلا بجميل الذكر وجزيل الاجر

(حكاية)

يقال أنه تفاخر عبدان عبد لبني هاشم وعبد لبني امية فكل واحد
منهما قال مولاي اوموالي اكرم من مواليك فقال لا نمضي الآن
ونجرب فمضى مولى عبد بني امية الى بعض مواليه وشكى
من ضايقته وتألم من فاقته فأعطاه عشرة الاف درهم ومضى الى
اخر من مواليه فاعطاه عشرة الاف درهم حتى طاف على عشر
منهم فاجتمع له مائة الف درهم وقال للآخر امض أنت الى بني
هاشم وجربهم فانظر الى كرمهم فأتى عبد مولى بني هاشم الى
الحسين ابن علي رضي الله عنهما وشكى حاله اليه فقره وما افضى
اليه فأعطاه مائة الف درهم ثم مضى الى عبد الله ابن جعفر وشكى

اليه فأعطاه مائة الف درهم ثم مضى الى عبد الله بن ربيعة فأعطاه مائة الف درهم فاجتمع له من ثلثه ثلثمائة الف درهم فمضى بالمال الى مولى بني امية فقال له ان مواليك تعلموا الكرم من موالى ولكن عدبنا النجر بهم ثانية ونعيد المال اليهم فمضى مولى بني اميه اليهم وقال قد استغنيت عن هذه الدراهم وقد سهل الله لى من مكان فتوحا أسد به فقرى ولم يبق لى فى هذا المال حاجة وقد أعدته فاخذ كل واحد منهم دراهمه وحمل مولى بني هاشم الدراهم الى سادته وقال لهم قد تيسر لى من مكان مازالت به حاجتى وانقضت فاقتى وقد اعدت المال الذى اخذته منكم فاستعيدوه فقالوا له نحن لا نأخذ شيأ قد وهبناه ولا نعود هباتنا تخلط باموالنا فان كنت قد استغنيت عن المال فتصدق به

(حكمة)

قال بعض العلماء اجلال الاكابر من الجلال واحتقار الناس من لؤم الاصل وقبح الاكابر من الجلال والهمة بغير آلة خفة وانما الهمة مع الجد تجمل وتلطف وتحسن ونظر * فلان الرجل * اذا كان ذا همة وجده غير مساعد لم يكن له من همته سوى الانحطاط لانه يجب أن تكون الهمة علوية والجد عاليا وقد قيل أيضا الكلام بالدرجة والعمل بالقدر وينبغى أن تكون الهمة الى بغداد والزاد الى فرسخين) ولد الحلال) كان عبد العزيز بن مروان أميرا بمصر فركب يوما بموضع واذا رجل ينادى ولده يا عبد العزيز فسمع الامير نداه فأمر له بعشرة آلاف درهم لينفقها على ذلك الولد الذى هو سميه ففشا الخبر بمدينة مصر فكل من ولد له فى تلك السنة ولد سماه هو عبد العزيز ضده وبضد ذلك كان الحاجب تاش الامير الحاجب الكبير بخراسان فاجتاز يوما بصيارف بخارا ورجل ينادى غلامه وكان اسم الغلام تاش فأمر بازالة الصيارف ومصادرتهم

وقال انما اردتم الاستخفاف باسمي فانظر الان الفرق بين الحر القرشي وبين المملوك المسترق بالدرهم وفي هذا الباب كلام طويل اذا ذكرناه طال الكتاب وينبغي ان تعلم ان الهمة وان تأخرت فانها توصل الانسان الى مراده كما قال الشاعر

لو كنت في خدمة السلطان ذا طلب
للزاد ما كنت من حاميه اخطبه
سعي لمجدي ولولا صدق معرفتي
اني سأدركه ما كنت اطلبه

اما المحمود في الرجال ان لا يتجاوز الرجل بهمته فوق قدره وقدرته لئلا يعش مغتما طول حياته ومدته كما قال

ان كنت تقنع بالكفاية لم يكن * بالدهر ارفه منك عيشا فيه
اوكنت فيما فوق ذلك طامعا * لم تتكفل الدنيا بما تحويه
ماذا يفيد علو همتك الذي * لا تستجيب لنيل ما تبغيه

(الباب الخامس في ذكر حكم الحكماء)

اما الحكمة فانها عطاء من الله جلت قدرته يؤتيها من يشاء وقال سقراط مثل من أتاه الله الحكمة وهو يغتم بالمال كمثل من يكون في صحة وسلامة فيبعها بالتعب والوصب وان ثمرته الراحة والعلا وثمرة المال التعب في البلا قال ابن المقفع كان لملوك الهند كتب كثيرة بحيث كانت تحمل على الفيلة فامروا حكماءهم ان يختصروها فاتفق العلماء في اختصارها فاختصروها على اربع كلمات احدها للملوك وهي العدل والثانيه للرعية وهي الطاعة والثالثة للنفس وهي الامساك عن الاكل وقت الجوع والرابعة للشان وهوان لا ينظر الى نفسه

(حكمة)

قال بعض الحكماء الناس اربعة رجل يدري ويدري أنه يدري فذاك

عالم

عالم فاتبعوه ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذاك ناس فذكروه ورجل لا يدري ويدري انه لا يدري فذاك مسترشد فأرشدوه ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذاك جاهل فاحذروه وأي شئ أبعد قال الاعمل وقال الاحنف بن قيس شيآن لا تتم معهما حيلة اذا اقبل الامر فليس للادبار فيه حيلة واذا ادبر فليس للاقبال فيه حيلة وقال لقمان الحكيم لابنه شيآن اذا حفظتهما لا تبالي بما ضيعت بعدهما درهمك لمعاشك ودينك لمعادك

(حكمة)

سئل أنوشروان بزرجمهر لاى سبب يمكن ان يجعل الصديق عدوا ولا يمكن ان يجعل العدو صديقا فقال لان تخريب العامر اسهل من عمارة الخراب وكسر الزجاج اذا كان صحيحا اسهل من تصحيحه اذا كان مكسورا وقال صحة الجسم خير من شرف الادوية وترك الذنب خير من الاستغفار وكظم الشهوة خير من كظم الحزن ومخالفة الهوى النفساني والانكسار خير من دخول النار

(حكمة)

كان رجل من الحكماء المتقدمين يطوف الدنيا عدة سنين وكان يعلم الناس هذه الكلمات الست وهي من ليس له علم فليس له عز في الدنيا والآخرة ومن ليس له صبر فليس له سلامة في دينه ومن كان جاهلا لم ينتفع بعلمه ومن لا تقوى له فماله عند الله كرامة ومن لا سخاء له فماله من ماله نصيب ومن لا نصيحة له فماله عند الله حجة

(حكمة)

سئل بزرجمهر اى عز يكون متصلا بالذل فقال العز في خدمة السلطان والعز مع الحرص والعز مع الشفقة وسئل بزرجمهر بماذا يؤدب البله فقال بان يؤمروا بكثرة الاعمال وان يستخدموا

في مشقات الاهوال بحيث لا يجعل لهم الى الفضول فراغا فقيل بماذا يؤدب الاخسا فقال باهانتهم واحتقارهم ليعرفوا وضاعة اقدارهم فقيل وبماذا يؤدب الاحرار فقال بالتوقف في قضا حوائجهم وسئل ايضا من الكريم فقال من يهب ولا يذكرانه وهب وقيل له لاى سبب يتلف الناس نفوسهم لاجل المال فقال لانهم يظنون ان المال خير الاشياء ولا يعلمون ان الذى يراد المال لاجله خير وقيل له يكون شئ اعز من الروح بحيث يعطى الناس فيه ارواحهم ولا يبالون فقال ثلاثة هى اعز من الروح الدين والعقد والخلاص من الشدائد وسئل ايضا فى اى شئ تكون زينة العلم والكرم والشجاعة فقال زينة العلم الصدق وزينة الكرم البشر وزينة الشجاعة العفو عند القدرة قال يونان الوزير اربعة اشيا من عظيم البلاء كثرة العيال مع قلة المال والجار السيئ الجوار والمرأة التى لا بقية ولا وقار واتفق أهل الدنيا على ان أعمال الدنيا خمسة وعشرون وجها خمسة منها بالقضاء والقدر وهى طلب الزوجة والولد والمال والملك والحياة وخمسة منها بالكسب والاجتهاد وهى العلم والكتابة والفروسية ودخول الجنة والنجاة من النار وخمسة منها بالطبع وهى الوفاة والمداراة والتواضع والسخاء والصدق وخمسة منها بالعادة وهى المشى فى الطريق والاكل والنوم والجماع والبول والتغوط وخمسة منها بالارث وهى الجمال وطيب الخلق وعلو الهمة والتكبر والدناة ويقال ثلاثة من الشدائد التى لا يجوز للعقلا نسيانها وهى فناء الدنيا وانقضاؤها وتقلب احوال الزمان ومحن الدهور ستة تساوى الدنيا الطعام السائغ والولد السليم الاعضاء والصاحب الموافق والامير المشفق والكلام الصحيح النظام والعقل التام

(حكمة)

قال

قال الحكيم خمسة أشياء ضائعة السراج المضيئة فى الشمس والمطر فى السباخ المالحة والمرأة الحسناء عند الاعمى والطعام الطيب يقدم بين يدى الشبعان وكلام الله تعالى فى صدر الظالم سئل الإسكندر لم تكرم معلمك فوق كرامة أبيك فقال لان أبى سبب حياتى الفانية ومعلمى سبب حياتى الباقية وقال اذا كانت بقسمة الله تجرى الامور فالاجتهاد محضور وتاركه مشكور وقال اذا لم يعش معك الزمان كما تريد فامش مع الزمان كما يريد فالانسان عبد الزمان والزمان عدو الانسان وكل نفس تنفسه الانسان فبقدره يبعد عن الحياة ويقرب من الممات

(حكمة)

سأل قوم من الحكماء لبزرجمهر فقالوا عرفنا من أبواب الحكمة ما ينفع أرواحنا وأشباحنا نجتهد فيه وما يضرنا نبعد عنه والله يجازيك عن أحسانك فقال اعلموا وتيقنوا أن أربعة من الاشيا تزيد نور العين وتجد النظر وأربعة تنقص نورها وأربعة أشياء تسمن الجسم وتخصبه وأربعة تضعفه وتهزله وأربعة تحيى القلب وأربعة تميته أما التى تزيد فى نور العين فهى الخضرة والماء الجارى والشراب الصافى والنظر الى وجوه الاحباء وأما الاربعة التى تنقصه فهى أكل الطعام المالح وصب الماء الحار على الرأس والنظر الدايم فى عين الشمس ورؤية العدو وأما الاربعة التى تسمن الجسم وتخصبه فهى الثوب الناعم وخلو البال من الاحزان والرايحة الزكية والنوم فى المكان الساخن وأما الاربعة التى تضعفه فاكل اللحم القديد وكثرة الجماع وطول المكث فى الحمام ونوم العشايا ولبس الثوب الخشن وأما الاربعة التى يصح بها الجسم فأكل الطعام فى وقته وحفظ مقادير الاشياء ومجانبة الاعمال المشقة وترك الحزن على غير موجب وأما الاربعة التى تكسر البدن دائما فسلوك

الطريق الصعب وركوب الفرس الحرون والمشي على التعب ومجامعة العجوز وأما الاربعة التي تحيي القلب فالعقل النافع والاستاذ العالم والشريك الامين والزوجة الموافقة والصديق المساعد وأما الاربعة التي تميته فبرد الزمهرير وحر السموم والدخان الكريه ومخافة العدو وقال سقراط الحكيم خمسة أشياء يهلك المرء فيها نفسه خديعة الاصدقاء والالتفات عن العلماء واحتقار الرجل نفسه واحتمال تكبر من لا يسوى واتباع الهوى

(حكمة)

قال بقراط خمسة أشياء لا يشبع منها خمس عين من نظر وانثى من ذكر واذن من خبر ونار من حطب وعالم من علم

(حكمة)

وسئل حكيم ما امر الاشياء في الدنيا وما احلاها فقال امر الاشياء استماع الكلام الخشن ممن لا قيمة له والدين الفادح وضايقة اليد واحلى الاشياء الولد والكلام الطيب واليسار وسئل حكيم ما الموت وما النوم فقال النوم موت خفيف والموت نوم ثقيل وسئل حكيم ما الغنا فقال القناعة والرضا فقيل ما العشق فقال مرض الروح وموت في حسرة سئل ارسطاطاليس اى صديق اوثق واى صاحب اشفق فقال الصديق الاصيل اوثق والصاحب القديم اشفق وتدبير العقلاء افضل

(حكمة)

قال جالينوس سبعة اشياء تجلب النسيان استماع الكلام الخشن لا يتصوره القلب والحجامة على حرز العنق والبول في الماء الراكد وأكل الحوامض والنظر في وجه الميت والنوم الكثير وطول النظر الى اماكن الخراب وقال أيضا في كتاب الادوية ان

النسيان يحدث من سبعة اشياء وهي البلغم وضحك القهقهة واكل المالح واللحم السمين وكثرة الجماع والسهر مع التعب وسائر الرطوبات والبرودات فان اكلها يضر ويجلب النسيان

(حكمة)

قال ابو القاسم الحكيم فتن الدنيا تنشأ من ثلثة نفر من قائل الاخبار وطالب استماع الاخبار ومتلقي الاخبار فهؤلاء الثلثة لا يخلصون من الملامة

(حكمة)

يقال ثلثه اشياء لا تجتمع مع ثلثه اكل الحلال مع اتباع الشهوات والشفقة مع ارتكاب الغضب وصدق المقال مع الكلام

(حكمة)

قال بزرجمهر الحكيم ان شئت ان تصير من جملة الابدال فحول اخلاقك الى اخلاق الاطفال فقيل له كيف ذاك فقال في الاطفال سبع خصال لو كانت في الكبار لكانوا ابدالا وهو انهم لا يغتمون للرزق واذا مرضوا لم يشكوا من خالقهم تعالى وانهم يأكلون الطعام مجتمعين واذا تخاصموا لم يتحاقدوا ويسارعون الى الصلح وانهم يتخوفون ويخافون بادنى تخويف وتدمع اعينهم

(حكمة)

قال وهب بن منبه في التوراة اربع كلمات مكتوبة وهي كل عالم لم يكن متورعا فهو كاللص وكل رجل خلا من العقل فهو والبهيمة على مثال واحد

(حكمة)

قال بعض الحكماء اصل الزعامة العطف واصل الذنب العجلة واصل الذل البخل

(حكمة)

قال الحكيم ينبغي للانسان ان يكون بقلبه خادما وبقالبه متقدما وبعادته ابلها اى يتجاوز عن الجيد والردى وينبغى ان يستمع كلام الحكمة من غير حكيم فانه قد يصيب الغرض من لم يكن راميا

(حكمة)

قال الاحنف بن قيس لا صديق لملون ولا وفاء لكذوب ولا راحة لحسود ولا مروءة لدنى ولا زعامة لسيئ الخلق

(حكمة)

قال ذوالرياستين اشتكى رجل من خصم له الى الاسكندر فقال الاسكندر اتحب ان اسمع كلامك فيه على ان اسمع كلامه فيك فخاف الرجل وامسك فقال الاسكندر كفوا انفسكم عن الناس لتأمنوا من ناس السوء

(حكمة)

قال بزرجمهر العوافى اربعة عافية الدين وعافية المال وعافية البدن وعافية الاهل فاما عافية الدين ففى ثلاثة اشياء انك لا تتابع الهوى وان تعمل باوامر الشرع وان لا تحسد أحدا وعافية المال فى ثلثة اشيا ايضا امعان النظر واداء الامانة واخراج الحق من المال وعافية البدن فى ثلثة قلة الاكل والاقلال فى الكلام والاقلال من النوم وعافية الاهل فى ثلثة القناعة وحسن العشرة وحفظ طاعة الله تعالى وسئل حاتم الاصم لاى سبب لا نجد ما تجده المتقدمون فقال لانكم فاتكم خمسة اشياء المعلم الناصح والصاحب الموافق والجهد الدائم والكسب الحلال والزمان المساعد خبر جاء فى الخبر ان رسول الله صلى عليه وسلم قال يا على اقبل على بوجهك واخل لى

قلبك وسمعك كل وغطوا جمع وهب وتشدد فقال على مامعنى هذه الكلمات يارسول الله فقال يا على كل الغضب وغط عيب اخيك وهب ظلم الظالم واجمع لذلك القبر الضيق المظلم وتشدد فى دين الله والاسلام

(حكمة)

قال رجل لبعض الحكماء اوصنى فقال انظر قضاه واطلب رضاه وتجنب جفاه

(حكمة)

سئل بعضهم اى شئ اكبر بين الخلق فقال كثرة التدبير وليس قدره مع الاستكثار لا يزول الحاجة والعبد يحرص على كل شئ الا على الفقر وليس يحرص عليه احد لان الخلق كلهم يطلبون الغنا ولا يحرص احد على الغم لان الكل يطلبون السرور ويحرصون على الفرح ولا يحرص احد على الموت لانهم يحرصن على الحيوة قال ابو القاسم الحكيم هلاك العبد فى شيئين المعصية والانفراد بالاراء فى القرا

(حكمة)

بلا الخلق من ثلثة العلماء المضلين والقراء البله والعوام الحسدة وقيل لا تطلب وفاء من خسيس الاصل ولا تطلب صحة من طامع وقال الحكيم شيئان غريبان فى هذا الزمان الدين والفقر وقال ان حفظت اربعة احوال كنت من جملة الرجال احدها سرك يجب ان يكون بحيث اذا علمه الناس رضيته الثانى علانيتك بحيث لو اقتدابك الناس جازلك الثالث أن تعامل الناس بما لو عاملوك به اخترته لنفسك الرابع أن تكون حالتك للناس بحيث لو كانت عليك رضيت بها

(حكمة)

قال الحكيم ينبغى أن تنظر ثلاثة أشياء بعين ثلثة وهى ان تنظر الفقراء بعين التواضع لا بعين التكبر وان تنظر الى الاغنياء بعين النصح لا بعين الحسد وان تنظر الى النساء بعين الشفقة لا بعين الشهوة

(حكمة)

قال وهب بن منبه قرأت فى التوراة ام المعاصى ثلثة الكبر والحرص والحسد وانها نتيجة خمسة أشياء كثرة الاكل وكثرة النوم وراحة الجسم وحب الدنيا ومدح الناس وقال من خلص من ثلثة فمأواه الجنة وهى المنة والمؤنة والملامة اذا احسن لم يمن باحسانه وان يخفف موئته عن الناس واذا رأى أحدا لم يلمه

(حكمة)

يقال ان ابن القرية دخل على الحجاج وقال له ما الكفر فقال البطر بالنعمة واليأس من الرحمة فقال ما الرضاء فقال القنوع بعطاء الله تعالى والصبر على المكاثرة فقال ما الصبر فقال كظم الغيظ والاحتمال لما لا يراد فقال ما الحلم فقال اظهار الرحمة عند القدرة والرضاء عند الغضب فقال ما الكرم فقال حفظ الصديق وقضاء الحقوق فقال ما القناعة فقال الصبر عن الجوع والعرى عن اللباس فقال ما الغنا فقال استعظام الصغير بالالة الحقيرة فقال ما الحمية فقال الوقوف على رأس من هو دونك فقال ما الشجاعة فقال الحملة فى وجوه الاعداء والكفار والثبات فى موضع الفرار وارضاء الرجال قال ما العدل قال ترك المراد وصحة السيرة والاعتقاد فقال ما الانصاف قال المساواة عند الدعاوى بين الناس فقال ما الذل قال المرض عند خلو اليد والانكسار من قلة الرزق فقال

ما الحرص قال حدة الشهوة عند الرجا فقال ما الامانة قال قضاء الواجب فقال ما الخيانة قال التراخي مع القدرة فقال ما الفهم قال التفكر وادراك الاشياء على حقايقها

(حكمة)

قال الحكيم ثمانية تجلب الذلة على أصحابها وهي جلوس الرجل على مائدة لم يدع اليها ومن تأمر على صاحب البيت والطامع في الاحسان من أعدائه والمضي الى حديث اثنين لم يدخلاه بينهما ومحتقر السلطان ومن جلس فوق مرتبته ومن تكلم عند من لا يستمع كلامه ومن صادق من ليس باهل

(حكمة)

سئل بزرجمهر أي شئ يقبح بالرجل ذكره وان كان صحيحا قال مدح الرجل نفسه لانه لا يوجد بخيل ممدوحا ولا ذو غضب مسرورا ولا غافل حريصا ولا ترى كريما حاسدا ولا قنوطا غنيا ولا تجد للملوك صديقا

(حكمة)

قال الحكيم خمسة يفرحون بخس ثم يندمون بعدها الكسلان اذا فاتته الامور والمنقطع عن اخوانه اذا نالته شدة ومن أمكنته فرصته على أعدائه ثم عجز عن انتهازها ومن ابتلى بامرأة سوء وتذكر المرأة الصالحة قبلها والرجل الصالح يقدم على ارتكاب الذنوب

(حكمة)

سئل بزرجمهر هل يقلب المال قلوب العلماء من الرجال فقال من قلب المال قلبه فليس بعالم وقال حكيم العتاب الظاهر خير من الحقد الباطن وقال بزرجمهر أصحاب الغم والحزن في الدنيا ثلاثة محب

فارق حبيبه ووالد شفيق ضل عنه ولده وغنى عاد فقيرا

(حكمة)

قال حكيم خمسة يكون المال اعز من نفوسهم وأرواحهم عليهم وهم المقاتل بالاجرة وحفار الابار وراكب البحر للتجارة والحواء الذى يتصيد الحيات بيده واكل السم بالمراهنة

(حكمة)

قال عمرو بن معدى كرب الكلام اللين يلين القلوب التى هى أقسى من الصخور والكلام الخشن يخشن القلوب التى هى أنعم من الحرير وقال الحكيم الحزن مرض الروح كما ان الوجع مرض الجسد والفرح غذاء الروح كما ان الطعام غذاء الجسد وطلب حكيم من رجل ان يدينه دينا فلم يفعل فقال الحكيم لم يكن من منعك الا ان احمر وجهى مرة من الحيا ولو اعطيتنى لم يصفر وجهى وهى أمر من مطالبتك بألف مرة

(حكمة)

وقال حكيم من لم يزرع قيمته لم تساوى شيأ قيمته وقال من ليس له لب ولا خطر فهو شجرة بلا ثمر وقال من سل سيف البغى قتل به نفسه ومن لم ينصف من نفسه لم يخلص من حسرته ومن أطلق يده بالعطا اشرف وجهه بالضياء وقال من تحرز من ذنوبه فقد تعلقت به وقال الشباب رضيع الجنون والشيب قرين التوقير والسكون وقال تزود طاهر الزاد ولا تخف من الأضداد

(عظة)

قال لقمان الحكيم كنت اسير فى طريق فرأيت رجلا عليه مسح فقلت ما انت ايها الرجل فقال آدمى قلت ما اسمك قال حتى انظر ماذا اسمى نفسى فقلت له من اين يعطيك فقال من حيث يشاء

فقلت

فقلت طوبى لك وقرة عين فقال ومن الذى يمنعك عن هذه الطوبى وقرة العين

(حكمة)

ثلاثة تذهب الغم عن القلب صحبة العالم وقضاء الدين ومشاهدة الحبيب وقال شيأن يجلبان الحزن الى القلب الطمع فى جود البخلاء والمزاح مع الوضعاء وقال تجنب من اربعة اشياء لتخلص من اربعة اشياء تجنب من الحسد لتخلص من الحزن ولا تجالس جليس السوء وقد تخلصت من الملامة ولا تركب المعاصى وقد خلصت من النار ولا تجمع المال وقد استرحت من عداوة الخلق

(حكمة)

قال الحكيم اربعة اعمال مذمومة يعلمها الناس فيجاوزون بها فى الدنيا والآخرة احدها الغيبة فقد قيل الغيبة فاوس يلحق سريعا الثانى احتقار العلماء لانه من حقر العلماء عاد حقيرا الثالث كفران نعم الله تعالى الرابع قتل النفس وللاكابر والحكماء مثل قديم وهو قولهم كل قاتل مقتول بعد حين كما قال الشاعر

اذا مكنت بالسكين كفا * لقتل الناس فاذكر السبيلا
رأى عيسى قتيلا فى طريق * فعض على انامله طويلا
وقال لمن قتلت تراك حتى * غدوت كما ارى ملقى قتيلا
وقاتلك الذى اراك ايضا * يذوق القتل فليطل العويلا

(الباب السادس فى شرف العقل والعقلاء)

ان الله تعالى جل ثناؤه وتقدست اسماؤه خلق العقل على احسن صفة وقال له اقبل فأقبل ثم قال له ادبر فأدبر فقال وعزتى وجلالى ماخلقت فى خلقى شيأ اعز منك بك اخذ وبك اعطى وبك احاسب وبك اعاقب والدليل على صحة هذا ان الله تعالى على العباد شيئين

الامر والنهى وكلاهما موقوفان على العقل كما جاء فى محكم التنزيل
قوله جل ذكره فاتقوا الله يا اولى الالباب واولوا الالباب هم ذووا
العقول واشتقاق العقل من العقال والمعقل المنيع القلعة على
رأس الجبل لا تصل اليها يد احد لامتناعها وقوتها واحكامها

(حكمة)

سئل حكيم الفرس لم سمى العاقل عاقلا فقال لان للعاقل أربع
علامات يعرف بها وهى ان يتجاوز عن ذنب من ظلمه وان يتواضع
لمن دونه وان يسابق الى فعل الخير لمن هو اعلى منه وان يذكر ربه
دائما وان يتكلم عن العلم وان يعلم منفعة الكلام فى موضعه واذا وقع
فى شدة التجا الى الله تعالى وكذلك الجاهل له علامات وهو ان يجور
على الناس ويظلمهم ويعسف لمن دونه ويتكبر على الزعماء
والمتقدمين وان يتكلم بغير علم وان يسكت عن الخطا واذا وقع
فى شدة اهلك نفسه واذا راى أعمال الخير لفت عنها وجهه

(حكمة)

قال سعيد ابن جبير ما رأيت الانسان لابسا اشرف من العقل ان
انكسر صححه واذا وقع اقامه واذا ذل اعزه واذا سقط فى هوة جذب
بضبعه منها واستنقذه وان افتقر اغناه واول شئ يحتاج اليه البليغ
العلم الممتزج بالعقل كما جاء فى الحكاية

(حكاية)

انه ما كان فى خلفاء بنى العباس خليفة اعلم من المؤمون فى جميع
العلوم وكان له فى كل أسبوع يومان يجلس فيهما للمناظرة مع الفقهاء
وكان يجتمع عنده الفقهاء والمناظرون والعلماء والمتكلمون فدخل
بعض الايام مجلسه رجل غريب عليه ثياب رثة فجلس فى أواخر
الناس وقعد من ورا الفقهاء فى مكان مجهول فلما ابتدوا

في المسائل وكان رسمهم انهم يديرون المسئلة على جماعة اهل
المجلس وكل من عرف زيادة لطيفة اونكتة غريبة ذكرها فذكرت
المسئلة الى ان وصلت الى ذلك الرجل الغريب فاجاب عنها
بجواب احسن من اجوبة الفقهاء كلهم فاستحسنه المأمون فأمران
يرفع من ذلك المكان الى موضع اعلى منه فلما وصلت المسئلة
الثانية اليه اجاب بجواب احسن من جوابه الاول فأمر المؤمون
ان يرفع الى اعلى من تلك المنزلة فلما وصلت المسئلة
الثالثة اجاب بجواب احسن واصوب من الجوابين الاولين فأمر
المأمون ان يجلس قريبا منه فلما انقضت المناظرة احضروا الماء
وغسلوا ايديهم واحضروا الطعام فأكلوا ثم نهض الفقهاء وخرجوا
فقرب المأمون ذلك الرجل وادناه وطيب قلبه ووعده بالاحسان
اليه والانعام عليه ثم عبى مجلس الشراب ونضده وحضر الندماء
الملاح ودارت الراح فلما وصل الدور الى ذلك الرجل وقف قائما على
قدميه وقال ان اذن امير المؤمنين تكلمت كلمة واحدة فقال قل
ما تشاء فقال قد علم الرائ العالى زاده الله تعالى علوا ان هذا العبد
كان اليوم في المجلس الشريف من مجاهيل الناس ووضعاء الجلاس
وان امير المؤمنين بقدر يسير من العقل الذى ابداه جعله معروفا
واعلى درجة وبلغ به من الغاية التي لم تسم اليها همته والآن تريد
ان تفرق بينه وبين ذلك القدر اليسير من العقل الذى اعزه بعد
الذلة وكثره بعد القلة وحاشا وكلا ان يحسده امير المؤمنين على
هذا القدر الذى معه من العقل والنباهة والفضل لان العبد اذا
شرب الشراب باعد عنه عقله وقرب منه جهله وسلب ادبه فعاد
الى تلك الدرجة الحقيرة كما كان ذليلا ورجع الى اعين الناس حقيرا
مجهولا فان رآى ان لا يسلب هذه الجوهرة منه بفضله وكرمه
وسيادته وحسن شيمته فعل ذلك متطولا فلما سمع المأمون منه

هذا الكلام مدحه وشكره واجله فی مرتبته ووقره وامرله بمائة الف درهم وحمله على فرس واعطاه ثياب تجمل وكان كل مجلس يرفعه على جماعة الفقهاء حتى صار ارفع منهم درجة واعلى منزلة وانما اوردنا هذه الحكاية لاجل نعت العقل لان العقل يوصل صاحبه الى كل درجة عالية ومرتبة سامية وان الجهل يحط صاحبه عن درجته ويهبطه عن مكانته

(حكاية)

يقال انه جاء فی بعض الايام رجل الى باب دار ابی الدوانيق المنصور وقال للحاجب اعلم امير المؤمنين ان بالباب رجلا من اهل الشام اسمه عاصم وهو يذكر انه كان فی الزمان الماضی بينه وبين امير المؤمنين مصاحبة مدة سنة اقل او اكثر فی التعليم والدروس وقد وصل الآن للسلام ولتجديد العهد بالامام فلما عرفه الحاجب بذلك اذن له فلما دخل وسلم ثقل قدومه على ابی الدوانيق لغثاثة منطقه وسوء ادبه فأجلسه وسأله وقال لای حاجة قدمت فقال لرؤية امير المؤمنين بوسيلة تلك الصحبة القديمة فأمرله بألف درهم فأخذها الرجل وانصرف ثم عاد بعد سنة وكان قدمات للمنصور ولد وهو جالس فی عزيته فدخل الرجل وسلم عليه ودعا له فقال الخليفة فيم قدمت فقال انا ذلك الرجل الذی كنت اتعلم معك العلم بالشام وقد اتيت مغزيا لك برزيتك ومؤديا حق عزيتك فأمرله بخمسمائة درهم وكان ابو الدوانيق سفلا بخيلا ولم يكن فی بنی العباس ابخل منه ولهذا القلب بابی الدوانيق ثم عاد ذلك الرجل اليه بعد سنة اخرى فلم يجد حجة يحتج بها فی الدخول عليه الا انه دخل فی جملة الناس وسلم فقال له الخليفة لای سبب وصلت فقال انا الرجل الذی كنت معك بالشام للتعليم وكتابة الاخبار واستماع الاحاديث وكنت قد كتبت معك دعاء للحاجة

كل من دعا به فى حاجة قضى الله حاجته وقد ضاع ذلك الدعاء منى
وقد اتيت امير المؤمنين لاكتب نسخة ذلك الدعاء واحفظه فقال
له المنصور لا تتعب ا فى طلب ذلك الدعاء فأنه غير مستجاب فانى
دعوت به منذ ثلاث سنين ليخلصنى الله من صداعك فلم أخلص
ولو كان مستجابا كنت قد خلصت منك فخجل ذلك الرجل لما سمع
هذا الكلام وانما اوردنا هذا الحكاية لان الانسان اذا كان عالما
ولم يكن له عقل سقط جاهه ومرتبته

(حكاية)

يقال ان فى ذلك العصر أيضا وصل رجل من مدينة الرسول صلى
الله عليه وسلم الى المنصور بحكم صداقة كانت بينهما قديما فلما رأى
صار خليفة الزمان قدم عليه ووفد اليه وكان الرجل عاقلا لبيبا ولم
يكن عالما فلما رأه قربه وأزلفه واستدعاه وقرب منزلته فقال ذلك
يا أمير المؤمنين انا محب لك شديد المحبة والولاء مخلص فى الطاعة
والولاء غير انى لا اصلح لخدمة الملوك فكيف ينبغى ان ازورك بحيث
لا يظهر منى سوء ادب ولا اثقل على قلبك فقال له المنصور أخر
الزيارة واذ زرتنى فاجعل بين زيارتك وانقطاعك مدة اذا غبت
فيها لم انسك واذا حضرت لم أملك وازدادت عندى محبتك على
ما كانت عليه واذا دخلت فاجلس بعيدا حتى يقربك الحاجب
منى بالتدريج ولا تطل جلوسك فتنسب الى سوء الادب ولا تسئل
حاجتك لئلا تثقل على قلبى واذا احسنت اليك فاشكرنى فى كل
مجلس تحل فيه وكل منزلة تنزلها بحيث اذا بلغنى ذلك سررت
بشكرك وازددت فى برك ولا تذكر فى المجلس ما جرى بينى وبينك
فى الزمان الماضى فقبل الرجل هذه الوصايا فكان يأتى فى كل سنة
يمضى الى سلامه مرتين وكان الخليفة يعطيه فى كل مرة الف درهم
وانما ذكرت هذه الحكاية لتعلم ان من كان له عقل ولم يكن عالما فان

عقله يكون له دليلا ومن كان ذا علم وليس له عقل عادت اموره جميعها متعكسة منقلبة ومن كان تمام العقل والعلم كان فى الدنيا نبيا او حكيما او اماما فان جمال الانسان وعزه ومرتبته وصلاح احوال دنياه وآخرته بالعقل وتمامه وتكامل صفاته واقسامه كما قال الشاعر فى شعره

شعر بالعقل ينال المرء اوج البدر والعقل به الجاه وسامى القدر والعقل يغسل عار الوزر فى التاج مع نفاذ الامر العقل اول الايمان ووسط الايمان وآخر الايمان وقال بعض القدماء ليس العقل ان الانسان اذا وقع فى أمر اجتهد فى حسن خلاصه منه بل العقل أن يجتهد أن لا يوقع نفسه فى أمر يحتاج الى الخلاص

(حكمة)

قال برويز الملك لولده احفظ الرعية ليحفظك العقل واصرف آفتك عن الرعية ليصرف العقل آفته عنك واعلم انك حكم بين الناس والعقل حكم عليك فكما ينبغى أن يقبل الناس أمرك فكذلك ينبغى أن تقبل أمر العقل

(حكمة)

كتب الوزير يونان كتابا الى العادل أنوشروان وأدى رسائل فى باب العقل وما يأمر به العقل فشكره أنوشروان وأمر أن يكتب اليه جوابا وقال أيها الحكيم لقد أحسنت فى تأدية رسالة العقل لاننا ومن تقدّمنا من الملوك انما تحلينا بالعقل فكيف يمكننا مخالفته فان العاقل اقرب الى الله تعالى عز وجل والعقل كالشمس فى الدنيا وهو قلب الحسنات والعقل حسن فى كل أحد وهو فى الاكابر والزعماء أحسن والعقل فى جسد الانسان كالرطوبة فى الشجرة لان الشجرة مادامت رطبة طرية كان الخلق من اريجها ونشر ازهارها

وطيب ثمارها ونضاوتها وطراوتها في سرور وغبطة ونزهة وفرحة فاذا جفت رطوبتها وقلت نضارتها فلا تصلح حينئذ لسوى القطع والاحراق والقلع وكذلك الانسان مادام عقله قويا وجسمه سليما فصحبته مباركة ومواصلته حسنة نافعة فاذا زال عقله وغلب عليه جهله فحينئذ لا يصلح للحياة ولا يستره غير الوفاة وقال أنوشروان كيف يسعني أن اخالف العقل ولا أفعل ما يأمرني به العقل فانه ليس الملك ولا الرعية خير من العقل فان بضيائه يفرق بين القبيح والمليح والجيد والردى والحق والباطل والصدق والكذب وقال بزرجمهر شيأن لا يمكن وجودهما في شخصين كاملين العقل والشجاعة

(حكمة)

وقال لقمان الحكيم مهما كان الرجل عالما فانه لا ينتفع بعلمه مالم يكن العقل لعلمه مصاحبا

حكمة

سأل أنوشروان بزرجمهر من تحب أن يكون اعقل الناس قال العدو اذا عاداني فقال ولم قال لا من اساءته وكل شئ اذا كثر هان الا العقل فانه كلما كثر كان صاحبه اعز

(حكمة)

وقيل لبزرجمهر اي شئ من الاشياء لا بد للانسان منه ولا مندوحة له عنه فقال العقل فقيل له ما قدر شئ لا يوجد في احد تاما كيف يعرف قدره وقال بعض الحكماء جميع الاشياء مفتقرة الى العقل والعقل يفتقر الى التجربة ولا غنا اعز من العقل ولا فقر اشد من الجهل وكل من عان علمه اوفر كانت حاجته الى العقل أكثر والمثل في هذا كراع ضعيف معه قطيع كبير يضرب للعالم الذى لا عقل له وقالت العلماء العقل امير وله جنود وجنوده التمييز والحفظ والفكرة

الفهم وسرور الروح بالعقل لان به ثبات الجسم والروح سراج نوره وعقل ثم ينبسط فی جمیع الجسد والعاقل لا یغتم ابدا لانه لا یفعل ما یوجب الاغتمام ولا یهتم بأمر لا یجوز لمثله الاهتمام

(حكمة)

سئل ابن عباس رضی الله عنه العقل خیرام الادب فقال العقل لان العقل من الله تعالی والادب تکلیف من العبد وسئل عبد الله ابن المبارك العقل خیرام الادب فقال العقل فقیل له ما العقل فقال العقل تعلم العلم والعمل بالعلم ان تعلم انه ینبغی ان تعمل والعقل انك اذا علمت عملت قال رسول الله صلی الله علیه وعلی آله وسلم ما قسم الله لعباده خیرا من العقل ونوم العاقل خیر من عبادة الجاهل والعاقل المفطر خیر من الجاهل الصایم وضحك العاقل خیر من بكاء الجاهل

(حكمة)

قال رجل لاقلیدس الحکیم لا استریح او اتلف روحك فقال انا لا استریح حتی اخرج الحقد من قلبك قال الحکیم کما یفوح من المیتة الرایحة المنتنه كذلك یفوح من الجاهل نتونة الجهل فتضربه وبجیرانه واقاربه

حكمة

سئل حکیم ما العقل فقال شداد وعقدة بین ثلثة وعشرین شیأ فلولا هذه العقدة لاختلط الجید بالردی اولا هو عقده بین التوحید والشرك وبین الایمان والکفر وبین الحذر والتهور وبین الاسلام والفعلة وبین الیقین والشك وبین العافیة والبلاء وبین الکرم والبخل وبین حسن الخلق والفضاحة وبین التواضع والکبر وبین العداوة والصداقة وبین المدح والذم وبین السهو والجهل وبین

الحياء والفحة وبين الحق والباطل وبين الرزانه والخفة وبين الظلمة والضياء وبين الكرامة والدولة وبين الطاعة والمعصية وبين ذكر الله تعالى والغفلة وبين الرضا والحسد وبين السنة والبدعة وبين الرحمة والقساوة وبين الحكمة والحمق قال صاحب الكتاب جميع محاسن الناس في العقل وسائر العلوم والاعمال مرجعها الى العقل كما جاء في الحكاية

(حكاية)

يروى ان الريح حملت كرسي سليمان عليه الصلاة والسلام وجعلت تسيريه فلاح لسليمان بلد فأمر الريح ان تحطه فرأى على باب البلد مكتوبا اجرة اجتهاد يوم درهم والحسن والجمال في يوم أجرته مائة دينار وعلم ساعة واحدة لا تحصى قيمته وجميع الاشياء منوطة بالعلم والعلم أسير الرأى والتدبير والرأى مع العقل توأمان ومن اعطاه الله سبحانه وتعالى العقل فقد أتاه خيرا كثيرا كما قال الشاعر

ان كنت من اصل جوهر منسوب

في الحسن او يوسف فتى يعقوب

الفأرة فهى المرأة السارقة التى تحل كيس زوجها وتسرق منه وتخباه في بيوت جيرانها وتسرق منه حنطته واسبابه وتعطيه للغزالات واما التى لها عادة الطير فهى التى تدور طول نهارها وتقول لزوجها اين تمضى ولاشك انك ماتريدنى وانك تحب غيرى ولست معى مستقيما ولا علىّ مشفقا واما التى لها عادة الثعلب فانها التى يخرج زوجها من البيت ومهاراته في البيت تمرضت وتعللت واذا دخل زوجها فتحت عليه الخصومة وابتدأته بالنقار وتقول له تركتنى في البيت وحيدة مريضة واما التى لها عادة الغنمة فهى المباركة الرحيمة كالغنمة التى كل شئ فيها منفعة وكذلك

المرأة الصالحة الكثيرة النفع المشفقة على بعلها وجيرانها وقرائبها واهل بيتها واولادها المطيعة لربها تعالى فصل واعلم ان ديانة المراة وسترها نعمة من نعم الله تعالى على عبده وهيهات ان يتمدد على المراة العفيفة طامع كما جاء في الحكاية حكاية يقال انه اراد رجل فاسق ان يكابر امراة عفيفة بالحرام فقال لها امضى واغلق ابواب الدار جميعها واحكمي اغلاقها فمضت المراة ثم عادت فقالت قد غلقت سائر الابواب واوثقت اغلاقها سوى باب واحد فقال اى الابواب ذلك الباب فقالت تلك الابواب التى بيننا وبين الخلق قد اغلقتها وقد بقى الباب الذى بينى وبين الخالق جلت عظمته ما قدرت عليه ولا استطعت ان اغلقه وهو تعاله مفتوح فوقع فى نفس هذا الرجل من هذا الكلام الهيبة فاخلص لله التوبة واقلع عن ذنبه وعاد الى طاعة ربه الاعلى

(حكاية مثلها)

يقال انه كان رجل علوى بسمرقند بعض الايام قائما على باب داره فاجتازت عليه امراة ذات حسن وجمال وكان الدرب خاليا فقبض العلوى على زند المراة وجذبها الى داخل الدار وهم ان يفسد معها فقالت له المراة اسألك مسئلة اجبنى عنها وافعل ما بدا لك فقال اذكرى ماتريدين فقالت اذا انت وطئتنى حراما وحبلت منك وولدت ولدا هل يكون ذلك الولد علويا او خبيثا عاميا فقال انه يكون علويا فقالت المراة لا شك انك انت من خبوث العلويين ولو لم تكن خبيثا لم تفعل مثل هذ فخجل العلوى فى الحال ورفع يده عنها ونذر على نفسه لله نذرا انه لا يعود ينظر الى امراة محرمة عليه نظر فساد وينبغى ان يكون الرجل صاحب حمية وغيرة على حرمه وناسه فان الحمية من الدين الى حد انه لا يجوز للرجل الاجنبى ان يسمع دق المراة الاجنبية بالهاون واذا دق

رجل أجنبي باب الدار فلا يحل للمرأة ان تجيبه بلين وسهولة لان
قلوب الرجال تتعلق بأقل الاشياء وأكثرها وان كان لا بد للمرأة
أن تجيبه فلتضع أصبعها في فمها ولتجيبه ليصير صوتها شبيها
بصوت العجائز ولا يجوز للنساء أن ينظرن الى الرجال الاجانب
ولو كان المنظور أعمى وجاء في الخبر ان رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم دخل الى بيت عائشة رضي الله عنها فرأى عبد الله ابن
ام مكتوم قاعدا عند النساء فقال يا عائشة رضي الله عنها لا يحل
للمرأة ان تقعد عند غير ذي محرم فقالت يا رسول الله انه اعمى فقال
ان كان لا يراك فانك ترينه

(حكاية)

يقال ان الحسن البصري رحمة الله عليه قصد زيارة رابعة العدوية
رضي الله عنها في جماعة من اصحابه فلما وصلوا الباب قالوا أتأذنين لنا
في الدخول فقالت تمهلوا ساعة وجعلت الكسا بينها وبينهم سترا
واذنت لهم فدخلوا وسلموا عليها فاجابتهم من وراء الستر فقالوا
لم غلقت بيننا وبينك سترا فقالت امرت بذلك في قوله تعالى
فاسئلوهن من وراء حجاب وواجب على الرجل ان لا ينظر
الى امرأة اجنبية بحال فانه قبل ان يجازى به في الآخرة يجازى به
في الدنيا كما جاء في الحكاية

(حكاية)

كان بمدينة بخارى رجل سقا يحمل الماء الى دار رجل صائغ مدة ثلثين
سنة وكان لذلك الصائغ زوجة في نهاية الحسن والجمال والظرف
والكمال معروفة بالديانة موصوفة بالستر والصيانة فجاء السقا
على عادته يوما وقلب الماء في الباب وكانت المرأة قائمة في وسط
الدار فدنا منها السقا واخذ بيدها ولواها وفركها وعصرها ثم

مضى وتركها فلما جاء زوجها من السوق قالت له أريد ان تعرفني اى
شئ صنعت اليوم فى السوق لم يكن لله تعالى فيه رضاء فقال
الرجل ماصنعت شيأ فقالت المرأة ان لم تصدق وتعرفني ما اقعد
فى بيتك ولا تعود ترانى ولا اراك فقال اعلمى ان فى يومنا هذا أتت
امرأة الى دكانى فصنعت لها سوارا من ذهب فأخرجت المرأة يدها
ووضعت السوار فى ساعدها فتحيرت من بياض يدها وحسن
زندها فتذكرت هذا المثنوى * فى ساعدها سوار تبر وارى كالنار
يلوح فوق ماء جارى * هل يخطر فى هواجس الافكار * ماء وله
منطقة من نارى * ثم اخذت يدها فعصرتها ولويتها فقالت المرأة
الله اكبر لم فعلت مثل هذا الاجرم ذلك الرجل الذى كان يدخل الينا
منذ ثلاثين سنة ولم نر فيه خيانة اخذ اليوم يدى وعصرها ولواها
فقال الرجل الامان ايتها المرأة انا تايب مما بدا منى فاجعلينى فى حل
فقالت المراة الله المسؤل ان يجعل عاقبة امرنا الى خير فلما كان من
الغد جاء السقا والقى نفسه بين يدى المراة وتمرغ على التراب وقال
ياصاحبة المنزل اجعلينى فى حل فان الشيطان أضلنى واغوانى
فقالت المراة فى حال سبيلك فانما ذلك الخطاء لم يكن منك وانما
ذلك من الشيخ الذى فى الدكان فاقتص الله منه فى دار الدنيا
فكذلك ينبغى ان تكون المراة مع زوجها ظاهرها وباطنها واحد
وتقنع منه بالقليل ان لم يقدر على الكثير وتقتدى بفاطمة وعائشة
رضى الله عنهما لتكون من خواتين الخلد كما جاء فى الحكاية

(حكاية)

كانت فاطمة رضى الله عنها تطحن كثيرا بالجاروشة حتى ادمت
انا ملها فشكت ذلك فى بعض الايام الى امير المؤمنين على بن ابى
طالب رضى الله عنه فقال لها على قولى لابيك ليبتاع لك خادمة
فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله انى

مفتقرة الی خادمة تعیننی فی اشغالی وتحمل عنی بعض اثقالی فقال صلی الله علیه وسلم الا اعلمك یا فاطمة ماهو خیر لك من کل خادم وخادمة واعز من سبع سموات وسبع ارضین فقالت علمنی یا رسول الله فقال لها اذا اردت النوم فقولی قبل منامك ثلاث مرات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اکبر وفی الخبر انهم لم یکن لهم فی البیت الا کساء کانوا اذا غطوا رؤسهم انکشفت ارجلهم وفی اللیلة التی کانت فاطمة عروسا وزفت الی علی بن ابی طالب رضی الله عنه کانت تحتها جلد شاة کانا نائمین علیه وما کان لفاطمة رضی الله عنها من متاع البیت سوی کسا ومخدة من لیف لا جرم ینادی یوم القیامة منادیا أهل الموقف غضوا ابصارکم حتی تعبر سیدة النسا فاطمة الزهرا والمراة تعز عند زوجها وتنمو محبتها فی قلبه باکرامها له وطاعتها الا مره ووقت خلوته بها واکتنانها فی بیته ومجامعته لها وبحفظها منافعه واجتنابها مضاره وتزینها له واکتنانها فی بیته وقلة خروجها من خدرها وبأن تکون عبقة النشر مجملة الا مرو بأن تحفظ وقت طعامه وشرابه ومهما علمت انه یشتهیه اصطنعته له بطلاقة وبشر لا تکلفه حاجة مستحیلة وان لا تکون بحوجة وان تستر نفسها عند منامها وبان تحفظ سر زوجها فی غیبته وحضوره

(وقال صاحب الکتاب)

واجب علی الرجال ان یؤدوا حق النساء العورات وان یحفظوبهن من وجه الترحیم والاحسان والمداراة ومن احب ان یکون مشفقا علی زوجته متحدیا علیها رحیما بها فلیذکر لها عشرة اشیاء من احوالها ینعفها بها اولها ان المرأة لا تقدر ان تطلقه وهو قادر علی طلاقها متی شاء وانها لا تقدر ان

تأخذ شيأ بغير اذنه وهو قادر على ذلك وانها مادمت فى حبالك
لا تقدر على زوج سواك وانت تقدر على التزوج عليها وانها لا يجوز
ان تخرج من البيت بغير اذنك وانت يجوز لك وانها لا يمكنها ان
تعرى وانت يمكنك وانها تخافك وانت لا تخافها وانها تقنع منك
بطلاقة وجهك فى وجهها وبالكلام اللين وانت لا ترضى بجميع
افعالها وانها تفارق امها واباها وجميع اقاربها لاجلك وانت
لا تفارق احدا لاجلها وتقدر ان تتسرى وتختص بالجوارى دونها
وانها تخدمك دائما وانت لا تخدمها وانها تتلف نفسها اذا كنت
مريضا وانت لا تغتم لها ولو ماتت فلهذه الوجوه التى ذكرناها يجب
على العقلاء ان يكونوا رحماء للنساء ولا يظلموهن ولا يجوروا عليهن
فان المرأة اسيرة الرجل ويجب على الرجال مداراة النساء لسبب
نقص عقولهن وبسبب نقص عقولهن لا يجوز لاحد ان يتدبر
بآرائهن ولا يلتفت الى اقوالهن ومن اعتمد على ارائهن والتفت
الى اقوالهن ودبر نفسه بمشورتهن خسر كما جاء فى الحكاية

(حكاية)

يقال ان الملك خسرو بن برويز كان يحب اكل السمك وكان يوما
جالسا فى المنظرة وشيرين عنده فجاء صياد ومعه سمكة كبيرة
واهداها لخسرو ووضعها بين يديه فأعجبته فامر له باربعة آلاف
درهم فقالت شيرين بئس ما صنعت فقال الملك لم فقالت
لانك اذا اعطيت بعد هذا لاحد من حشمك هذا القدر قال قد
اعطانى مثل عطية الصياد فقال لقد صدقت ولكن يقبح بالملوك
ان يرجعوا فى هباتهم وقد فات الامر فقالت شيرين انا ادبر هذا
الحال فقال وكيف ذاك فقالت تدعوا الصياد وتقول له هذه
السمكة ذكر هى ام أنثى فان قال ذكر فقل انما طلبت انثى وان قال
انثى قل انما طلبت ذكرا فنودى الصياد فعاد وكان الصياد ذا ذكاء

وفطنة فقال له خسرو هذه السمكة ذكر ام انثى فقبل الصياد الارض
وقال له هذه السمكة خنثى لا ذكر ولا انثى فضحك خسرو من كلامه
وامر له باربعة آلاف درهم فمضى الصياد الى الخازن وقبض منه
ثمانية آلاف درهم ووضعها فى جراب كان معه وحملها على عنقه وهم
بالخروج فوقع من الجراب درهم واحد فوضع الصياد الجراب عن
كاهله وانحنى على الدرهم فأخذه والملك وشيرين ينظران اليه
فقالت شيرين لخسرو ارأيت خسة هذا الرجل وسفالته سقط
منه درهم واحد فالقى عن كاهله ثمانية الاف درهم وانحنى على
الدرهم فأخذه ولم يسهل عليه ان يتركه ليأخذه غلام من غلمان
الملك فحرد خسرو من ذلك وقال صدقت يا شيرين ثم امر بأعادة
الصياد وقال له يا ساقط الهمة لست بأنسان وضعت هذا المال عن
عنقك لاجل درهم واحد واسفت ان تتركه فى مكانه فقبل الصياد
الارض وقال اطال الله بقاك ايها الملك انى لم ارفع ذلك الدرهم
لخطره عندى وانما رفعته عن الارض لان على وجهه صورة الملك
وعلى الوجه الآخر اسم الملك فخشيت ان ياتى احد بغير علم يضع
عليه قدميه فيكون ذلك استخفافا باسم الملك واكون أنا المؤاخذ
بهذا فعجب خسرو من كلامه واستحسن ما ذكره فأمر له بأربعة
آلاف درهم فعاد الصياد ومعه اثنى عشر آلاف درهم وامر خسرو
مناديا ينادى لا يتدبر احد برأى النساء فانه من تدبر برايهن واتمر
بأمرهن خسر درهمه ثلاثة

(فصل)

قال صاحب الكتاب عمارة الدنيا وتناسل بنى آدم بالنساء والعمارة
لا تصح بغير رأى ولا تدبير وقيل شاوروهن وخالفوهن ويجب
على الرجل الفاضل المتيقظ ان يحتاط فى خطبة النساء وطلاقهن
وليزوج البنت لا سيما اذا بلغت لئلا يقع فى العار والعيب ومرض

القلب وعلى الحقيقة كل ماينال الرجال من البلاء والهلاك والمحن فبسبب النساء كما قال الشاعر

من فتنة النسوان قد يعصى الفتى الـ
رحمن او يخشى من الشيطان
اللص لولا هن لم يك بائعا
للروح منه بارخص الاثمان
وبهن قرع آدم مع يوسف
فى محكم التنزيل بالعصيان
ولذاك هاروت ببابل منكس
ومعلق بالشعر جدا عانى
مجنون عامر هام من حب النساء
فى السند باعجايب النسوان
كل البلا منهن يأتى والوفا
منهن لا يأتى مع الازمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أنعم بطبع التبر المسبوك * وجعل فائدته عامة للرعايا والملوك * وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة انال بها النعيم المقيم * وأشهد ان سيدنا محمد عبده ورسوله صاحب الفضل العظيم والخير العميم * صلى الله وسلم عليه وعلى آله واصحابه وأزواجه وأنصاره واحبابه آمين أما بعد فقد تم طبع هذا الكتاب النفيس بالمطبعه الكاستليه * وملتزمه حضرة استاذ الاساتيذ الشيخ حسن العدوى الحمزاوى ابعد الله عنه كل بليه * وذلك يوم الثلاثا المبارك الموافق لاربعة وعشرين يوما مضت من شهر ذى الحجة الذى هو من شهور سنة ألف ومائتين سبعة وسبعين من هجرته صلى الله عليه وسلم والحمد لله اولا واخرا وباطنا وظاهرا والله اعلم